تَعَدُّدُ دَلالَةِ الْوَاوِ والفاء الْوَاقِعَتَيْنِ فِي جَوَابِ "لَمَّا" وَ"حَتَّى إِذَا"

"دِراسَةً تَحْلِيلِيَّةً"

إعداد

د. ناجي عبد العال سيد أحمد حجازي

الأستاذ المساعد بقسم التنشيط الثقافي (تخصص النحو والصرف والعروض)، بالمعهد العالي للنقد، أكاديمية الفنون

تَعَدُّدُ دَلالَةِ الْوَاوِ والفاء الْوَاقِعَتَيْنِ فِي جَوَابِ "لَمَّا" وَ"حَتَّى إِذَا" "دِراسَةً تَحْلِيلِيَّةً"

ناجي عبد العال سيدأحمد حجازي

قسم التنشيط الثقافي(تخصص النحو والصرف والعروض)، بالمعهد العالي للنقد، أكاديمية الفنون.

المُلَخّصُ:

نالت "الواو والفاءُ"(١) المقحمتان بين الشرط والجواب اهتمام النحاة واللغويين والمفسرين، واتسعت هوة الخلاف بين البصريين والكوفيين في تحديد الجواب، واحتدمتْ نقاشاتُهم حول دلالاتها، ، وتشبّثَ كلٌّ برأيه ومبرراته ومنهجه في التقعيد والتأصيل، فَقَبَضَ البصريون على مِعْيارِيَّتِهِمْ في تحديد الجواب، وعوّلَ الكوفيون على وصفيَّتِهِمْ؛ وأَسْفَرَ هذا الخلاف عن ميراثٍ يستحق النظر، فهرعت إلى خمس آيات قرآنية وأربعة شواهد شعرية لوقوع الواو والفاء في جواب الشرط؛ تفحصتها بالدراسة التحليلية، وعوّلت على السياق وكل المعطيات التي تفك شفرات النص وتَسَانِينَهُ، كالمقام الداخلي والخارجي، ولا سيما أسباب النزول، فخلطت كُلَّ ذَلِكَ فِي بَوْتَقَةِ الْمَوْضُوعِيَّةِ، وسكبتها عَلَى الواوات المنسوجة بين الشرط والجواب أو الواقعة في الجواب نفسه، فاسْتَطَعْتُ بِفَضْلِ اللهِ سَبْرَ غَوْرِ مَعَانَيهَا وَبَيَانَ مَقَاصِدِ سَوْقِهَا، ولكي أصل إلى بغيتي شيّدْتُ هيكل العمل من مقدمة وثلاثة مباحث، أولها: "مَذَاهِبُ النُّحاةِ في وُقوعِ الواوِ والفاءِ زائدتينِ في جَوابِ الشَّرْطِ وأُسُسُ كُلِّ

(١) وهناك (ثُمَّ) أيضًا، ولكن دراستي اقتصرت على الواو والفاء.

فَريقٍ"، وثانيها: "شَواهِدُ وُقُوعِ الواوِ والفاءِ في جَوابِ "لمّا، وحتّى إذا" (عرض ونقد وتحليل)، وثالثها: "تَعَدُّدُ دِلالَةِ الواوِ والفاء واسْتِعْمَالاتُهَما"، ثُمَّ اصطفيت عَدَدًا مِنَ النَّتَائِجِ، وَخَتَمْتُهُ بِثَبْتِ الْمَرَاجِعِ.

الكلمات المفتاحية: دلالة – الواو – الفاء – الشرط – لما – حتى إذا.

The Contrast of the indications of the Waw positioned in the answer to Lamaa

Naji Abdel-Al Sayed Ahmed Hijazi

Department of Cultural Revitalization (Grammar, Exchange and Presentations Specialty), Higher Institute of Criticism, Academy of Arts

Abstract:

The waw has gained the attention of grammarians and commentators; in both the wow being in the answer to the condition or if the wow is inserted in a sentence that mediates the condition and the answer. The Basrians and the Kufians enclosed the waw in their fierce discussions and rivalry.Each group adhered to directing the waw with its method of confining and rooting, in wihich the Basrians seized their standard in determining the answer, and they assumed it hypothetically. While the Kufians relied on the descriptive approach.Both teams strived hard, but they left us with some bits and pieces that deserve to be further research.

Our research methodologyrushed to five Qur'anic verses and four poetic evidences that we examined through an analytical study. The study has relied on the context and all its keys to decryptall encryptions of a text, such keys are the internal and external Maqams. The substantive assessment between the condition and the answer is tracedwithin the same answer.This was the drive towards the meaning and the purposes of the wow and the elicitedevidence is narrated through the structure of ourstudy.

The study has investigated three research problems, the first of which is the doctrines of grammarians regarding the occurrence of the Waw and the Faaahead of the answer to the condition and the foundations of each team; i.e. the Basrians and the Kufians. The second of which is the evidence of the fall of Waw and Faa in the answer to "what", and "even when" among the Basrians and the Kufians; i.e. the present, criticism and analysis. The Third of which is variations of Waw and Faa and their uses. They were deliberated based on a number of poetic evidences and relativity considerations; their outcomes were thoroughly examined and critically studied in reference to related work.

Keywords: waw - the answer to the condition - The indicationto Lamaa and Wae - Faa-even if - Lamaa.

المُقَدِّمَةُ:

حِينَمَا كُنْتُ أَتْلُو سُورَةَ الصَّافَّاتِ – وَكُنْتُ حِينَئِذٍ بِالْمَرْحَلَةِ الثَّانَوِيَّةِ– شَغَلَنِي جَوَابُ الشَّرْطِ فِي قَوْلِهِ (تَعَالَى): ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرؤيآ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾(١)، وظَلَّتْ تِلْكَ الْمَشْغَلَةُ مُخْتَمِرَةً بِذَاكِرَتِي مُسَيْطِرَةً على فِكْرِي إلى أن تخصَّصْتُ فِي مَجَالِ اللُّغَةِ، فَوَجَدْتُهَا عَاوَدَتْ الْإِلْحَاحَ عَليَّ، وحَرَّكَتْ فُضُولَي وغَيْرَتِي الَّتِي زَادَ مِنْ حَمِيَّتَهَا اتِّصالُ الْمَوْضُوعِ بِالْقُرآنِ الْكَرِيمِ، فَهُوَ المَنْبَعُ الأَوَّلُ الَّذِي أَثَارَ شُجُونِي فَنَمَّى كَوَامِنَ طَاقَتِي رَغْبَةً فِي أَنْ أَقِفَ عَلَى مُرَادِ اللهِ – عَزَّ وَجَلَّ – فانْتَفَضْتُ، وَهَرَعْتُ أُفَتِّشُ وأُنَقِّبُ فِي كُتُبِ النَّحْوِ والتَّفَاسِيرِ لَعَلِّي أَجِدُ بُغْيَتِي؛ فَأَعْثُرَ عَلَى جَوابٍ كَافٍ شَافٍ عَنْ الْجَوَابِ، إِلَّا أَنَّنِي وَجَدْتُ خِلَافًا مُحْتَدِمًا بَيْنَ النُّحَاةِ قَائِمًا عَلَى مَنْهَجِ كُلِّ فَرِيقٍ فِي التَّقْعِيدِ والتَّأْصِيلِ لِقَوَاعِدِ اللُّغَةِ واسْتَنْبَاطِهَا.

يُعَدُّ خِلافُ النُّحاةِ حَوْلَ جَوابِ الشَّرْطِ أَرْضًا خِصْبَةً لِإِلْقَاءِ الضَّوْءِ عَلَى الأُسُسِ والْمُسَوِّغَاتِ الَّتِي عَوَّلَ عَلَيْهَا كُلُّ فَرِيقٍ، وهو يُرَسِّخُ لِمَبَادِئِ مَنْهَجِهِ وَيُرْسي مِنْ خِلَالِهَا دَعَائِمَ قَوَاعِدِ اللُّغَةِ.

كما أنّ اخْتِلافَهم في تَحْديدِ جَوابِ الشَّرْطِ مَبْحثٌ – مَعَ كُلِّ مَا قِيلَ فِيهِ – يَسْتَحِقُّ البَحْثَ والمُثابَرَةَ للاهْتِداءِ إلى الجَوابِ الْحَقِّ.

ومَعَ أَنَّ ثَمَّةَ دِرَاسَاتٍ كَثِيرَةً دَارَتْ حَوْلَ هذا الموضوع؛ مِنْ حَيْثُ مُحاوَلَةُ تَفْسِيرِ النُّحَاةِ والْمُفَسِّرِينَ للواوِ والفاء الواقعتين في جواب "لَمَّا"، و"حَتَّى إذا" –وقد اقتصرت دراستي على الواو وشاهد على الفاء– ولَمْ يَخْلُ

(١) سورة الصافات، الآيات: ١٠٣ – ١٠٥.

كِتابُ نَحْوٍ أو تَفْسِيرٌ مِنَ التَّعَرُّضِ لَهَا، كَمَا أَنَّ بَعْضَ النُّحَاةِ أَفْرَدَ لَهَا مَبَاحِثَ مُسْتَقِلَّةً مُعَنْوَنَةً بِزِيَادَةِ الْوَاوِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَلَّفَ كِتَابًا تَحْتَ اسْمِ "الْفُصُولِ الْمُفِيدَةِ فِي الْوَاوِ الْمَزِيدَةِ" كصَلاحِ الدِّينِ العَلائِيِّ (الْمُتَوَفَّى: ٧٦١هـ) إِلَّا أَنَّهَا دَارَتْ فِي فَلَكِ الخِلَافِ بَيْنَ الْبَصْرِيينَ وَالْكُوفِيّينَ مَا بَيْنَ رَفْضِ زِيَادَتِهَا وَالتَّشَبُّثِ بِإِقْحَامِهَا، وَلَمْ تَخْرُجْ أَفْكَارُهُمْ عَنْ ذَلِكَ قَيْدَ أَنْمُلَةٍ... باسْتِثْناءِ دِراسَةِ الدُّكْتُورِ تَمَّامٍ حَسَّانٍ الذي حَاولَ رَأْبَ الصَّدْعِ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ فِي كِتَابِهِ: "اللُّغَةُ بَيْنَ الْمِعْيَارِيَّةِ وَالْوَصْفِيَّةِ" وَقَدَّمَ كَلامًا قَيِّمًا عَوَّلْتُ عَلَيْهِ، لَكِنَّ دراسته لم تَتَجَاوَزْ أُسُسَ التَّقْعِيدِ عِنْدَ البَصريينَ والكُوفيينَ.

ولكي أَصِلَ إلى بُغْيَتِي ارْتَكَزْتُ عَلَى الدِّرَاسَةِ التَّحْلِيلِيَّةِ لآراءِ النّحاةِ والمفسرين في بعض الآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ والشَّوَاهِدِ الشِّعْرِيَّةِ، واعْتَمَدْتُ عَلَى السِّيَاقَاتِ وكُلِّ الْمُعْطَيَاتِ الَّتِي تَسْعَى إِلَى جَلاءِ النَّصِّ وَفَهْمِهِ؛ كَالْمَقَامِ الدَّاخِلِيِّ والْخَارِجِيِّ، وَلَا سِيَّمَا أَسْبَابُ النُّزُولِ، فَمَزَجْتُ كُلَّ ذَلِكَ فِي بَوْتَقَةِ الْمَوْضُوعِيَّةِ، وَصَبَبْتُهَا عَلَى الوَاوِ والفاء الْوَارِدتين فِي الآي والشَّوَاهِدِ الشِّعْرِيّةِ الَّتِي اسْتَطَعْتُ – بِفَضْلِ اللهِ – كَشْفَ دلالاتهما، فَلَمْ أَقِفْ عِنْدَ الْأَحْكَامِ الْمِعْيَارِيَّةِ الْمُسْبَقَةِ الَّتِي رَفَضَتْ زِيادَتَهُما رَفْضًا صَارِمًا، أَوْ وَصْفِيَّةِ الكُوفِيّينِ الَّتِي تُسَلِّمُ بِزِيَادَتِهما لِمَجِيئِهَا عَنِ الْعَرَبِ؛ دُونَ أَنْ تَتَعَرَّضَ للمَغَازِي والْغاياتِ لِزِيادَتِهِمَا، ولَكِنّني – بِفَضْلِ اللهِ – انْتَزَعْتُ الْمَعَانِيَ والدِّلَالَاتِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا نُسِجَتا فِي أَجْوِبَةِ الشَّرْطِ.

وكُنْتُ فِي كُلِّ ذَلِكَ مُفَسِّرًا وَشَارِحًا وَنَاقِدًا، وَمُوَافِقًا وَمُقَارِعًا الْحُجَّةَ بِالْحَجَّةِ، مَعَ الْحِرْصِ عَلَى الالْتِزَامِ بالدِّقَّةِ والْمَوْضُوعِيَّةِ، فَلَمْ أُثْبِتْ فِكْرَةً بالْبَحْثِ دُونَ تَوْثِيقٍ، ولَمْ أُرجِّحْ رَأْيًا دُونَ تَبْرِيرٍ، ولَمْ أَجْزِمْ بِحُكْمٍ دُونَ الاعْتِمَادِ

عَلَى مُسَوِّغَاتٍ وحَيْثِيَّاتٍ مِنَ السِّيَاقِ الدَّاخِلِيِّ للنَّصِّ أَوْ الخَارِجِيِّ أَوْ الْعَقْلِ أَوْ مِنْهَا جَمِيعًا.

وشَيَّدْتُ بَحْثِي مِنْ مُقَدِّمَةٍ، وَهِيَ عَلَى مَا تَرَوْنَهَا، وثَلاثَةِ مَباحِثَ، أولها: "مَذَاهِبُ النُّحاةِ في وُقوعِ الواوِ والفاءِ زائدتينِ في جَوابِ الشَّرْطِ وأُسُسُ كُلِّ فَريقٍ" ذَكَرْتُ فِيه انْقِسَامَ النُّحَاةِ حَوْلَ تِلْكَ الْوَاوِ، وَشَرَحْتُ أُسُسَ كُلِّ فَرِيقٍ وحُجَجَهُ. وثانيها:"شَواهِدُ وُقُوعِ الواوِ والفاءِ في جَوابِ "لمّا، وحتّى إذا" بَيْنَ البَصْريينَ والكُوفَيينَ (عرض ونقد وتحليل)"؛ انْتَقَيْتُ فِيهِ أَرْبَعَ آياتٍ قُرآنيَّةٍ وشاهديْنِ شِعْريينِ كَنماذجَ – لا حصرًا – لِوقُوعِ الواوِ والفاءِ في جَوابِ الشَّرْطِ، فبيّنتُ آراءَ النُّحاةِ البصْريينَ والكوفييَن والمفسّرينَ بِمُنْتَهَى الموْضوعِيَّةِ، وعَرَضْتُ حُجَجَهُمْ وَمُسَوِّغَاتِهِمْ الَّتِي ارْتَكَزُوا عَلَيْهَا فِي الشَّوَاهِدِ الَّتِي أُقْحِمَتْ فِيهَا الْوَاوُ فِي جَوَابِ الشَّرْطِ، ثُمّ حَلَّلْتُها، ورَجَّحْتُ رَاجِحَهَا، وذَكَرْتُ مَا رَأَيْتُهُ مُنَاسِبًا مِنْ زَاوِيةِ رُؤْيَتِي لِلنَّصّ وَمَا يَكْتَنِفُهُ مِنْ سِيَاقَاتٍ وَقَرَائِنَ عَلَّنَا نَصِلُ إِلَى مُرَادِ النَّصّ وَقَصْدِهِ. وثالثها: "تَعَدُّدُ دِلالَةِ الواوِ والفاء واسْتِعْمَالاتُهَما"، ذَكَرْتُ فِيهِ بعضَ نصوصِ النّحاةِ المتَواريةِ عَلى اسْتِحْياءٍ عن تعدُّدِ دلالةِ الواوِ والفاءِ، وَوَقَفْتُ عَلى الدِّلالاتِ الْكامِنَةِ لزِيادَتهما، ثُمَّ انْتَخَلْتُ مِنْ تِلْكَ الْمَبَاحِثِ عَدَدًا مِنَ النَّتَائِجِ ذَيَّلْتُ بِهَا الْبَحْثَ، وَخَتَمْتُهُ بِفِهْرِسٍ لِلْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ.

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: مَذَاهِبُ النُّحَاةِ وَأُسُسُهُمْ فِي وُقُوعِ الوَاوِ والفاءِ زائدتينِ في جَوابِ الشَّرْطِ:

انْقَسَمَ النُّحَاةُ فَرِيقَيْنِ حَوْلَ تِلْكَ الْوَاوِ الْوَاقِعَةِ فِي الْجَوابِ؛ فَذَهَبَ الْفَرَّاءُ(١) ومِنْ وَرَائِهِ الْكُوفِيُّونَ إلى أَنَّ الوَاوَ العَاطِفَةَ يَجُوزُ أَنْ تَقَعَ زَائِدَةً فِي الْجَزَاءِ، وإِلَيْهِ ذَهَبَ أَبُو الْحَسَنِ الأَخْفَشُ(٢)، ونَسَبَهُ أَبُو الْبَرَكَاتِ الأَنْبَارِيُّ لأَبِي الْعَبَّاسِ المُبَرِّد(٣)، وَلَمَّا نَقَّبْتُ فِي مُقْتَضَبِهِ وَجَدْتُهُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بَصْرِيًّا، فَهُو يُفْصِحُ عَنْ رَأْيِهِ بِقَوْلِهِ: "وَقَالُوا أَيْضًا: إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ أذنتْ لِرَبِها وحُقَّتْ، وَهُوَ أبعد الْأَقَاوِيل أَعنِي زِيَادَة الْوَاو وَمن قَول هَؤُلَاءِ إِن هَذِه الْآيَة على ذَلِك ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾(٤) قَالُوا الْمَعْنى نَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيم، قَالُوا وَمثل ذَلِك فِي قَوْله (تعالى): ﴿حَتَّى إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾(٥) الْمَعْنى عِنْدهم حَتَّى إِذا جَاءُوهُا فُتِحَتْ أَبْوابهَا كَمَا كَانَ فِي الْآيَة الَّتِي قبلهَا فِي مَوَاضِع من الْقُرْآن كَثِيرَة من هَذَا الضَّرْب قَوْلهم وَاحِد"(٦)، وممَّنْ ذَهَبَ إِلَى زِيَادَةِ الوَاوِ فِي الْجَزَاءِ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ بَرْهَان من

(١)الفراء: معاني القرآن: ١/ ١٠٨، ٢٣٨، ٢/ ٢١١ ٢/ ٣٩٠.
(٢)الأخفش الأوسط: معانى القرآن: ١: ١٣٢، ٢/ ٤٩٦.
(٣) ينظر: أبو البركات الأنباري: الإنصاف: ٢/ ٣٧٤.
(٤) سورة الصافات، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤.
(٥) سورة الزمر، جزء الآية: ٧٣.
(٦) المبرد: المقتضب: ٢/ ٨٠.

البصريين(١)، وابْنُ قُتَيْبَةَ(٢)، وابْنُ مَالِكٍ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ(٣).

اتَّكَأَ الكُوفيُّونَ عَلَى وُرُودِ عَدَدٍ مِنَ الشَّوَاهِدِ القُرْآنِيَّةِ والشِّعْرِيَّةِ وَقَعَتْ فِيهَا الْوَاوُ مُقْحَمَةً مُتَصَدِّرَةً جَوَابَ الشَّرْطِ، ومن الآيات التي احتجوا بها قوله (تعالى):

﴿حَتَّى إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾(٤)

فالواو زائدة؛ لأن التقدير فيه: فتحت أبوابها؛ لأنه جواب لقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا﴾.

وقوله (تعالى):

﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾(٥)

الواو زائدة والتقدير: اقترب؛ لأنه جواب لقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ﴾.

وقوله (تعالى):

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾(٦).

---

(١)ينظر: ابن برهان العكبري: شرح اللمع: ١/ ٢٣٨، وأبو البركات الأنباري: الإنصاف: ٢/ ٣٧٤.

(٢)ينظر: ابن قتيبة الدينوري: تأويل مشكل القرآن، ص: ١٥٨.

(٣)ابن مالك: شرح تسهيل الفوائد: ٣/ ٣٥٥.

(٤) سورة الزمر، جزء الآية: ٧٣.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٩٦، وجزء الآية: ٧٩.

(٦) سورة الانشقاق، الآيات: ١ – ٥.

والتقدير فيه أذنت؛ لأنه جواب "إذا"(١).

واحتجوا كذلك بعدد من الشواهد الشعرية، منها قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ(٢):

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الحَيِّ وانْتَحَى بنا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ

والتقدير فيه: انتحى، والواو زائدة؛ لأنه جواب "لما"(٣). وتسليم الكوفيين بوقوع الواو زائدة في جواب الشرط نابع من منهجهم الوصفي، الذي هو: "علم يصف اللغات أو اللهجات كما هي مستعملة في الواقع، لا كما يجب أن تكون"(٤)، فقاموا باستنباط القواعد من اللغة العربية، ووصفوا حقائقها دون أن يفرضوها على مستعمليها، فاعتدوا فيما نحن بصدده بوقوع الواو في جواب الشرط، ولو لم يقع في كلام العرب كثيرًا؛ لأن من ملامح المنهج الوصفي وأسسه أنه لا يقوم على الأكثريّةِ، ولا يعتد بالانتقائيّةِ، ولا يهتم بتصدير القواعد المسبقة أو فرضها؛ وقد يكون هذا أَقْرَبَ للدراسة العلمية التي تتميز بها اللسانيات؛ حيث "تتمثل أول مهمة للسانيات في وصف كل

(١)ينظر: أبو البركات الأنباري: الإنصاف: ٢/ ٣٧٤.

(٢) الشاهد لامْرِئِ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من الطويل، وهو في: ديوانه، ص: ٣٩، وينظر الشاهد في: الفراء: معاني القرآن، ، ٢/ ٥٠، ٢١١، وينظر: الطبري: جامع البيان: ١٥/ ٥٧٥، ١٨/ ٥٣٣، وابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، ص: ١٥٩، وكراع النمل: المنتخب، ص: ٦٩٤، والزَّوْزَني: شرح المعلقات السبع، ص: ٥٠، التبريزي: شرح القصائِد العشر، ص: ٢٦، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١/ ٣٨٥، ٤/ ٣٣٦، ٩/ ١٤٢، ١١/ ٣٤٢، ١٧/ ٢٩٣، والسمين الحلبي: الدر المصون: ١/ ٣٤٦، ٦/ ٤٥٣، والشوكاني: فتح القدير، ٣/ ٥٠٤.

(٣)ينظر: أبو البركات الأنباري: الإنصاف: ٢/ ٣٧٤، ٢٧٥.

(٤)أحمد مؤمن: اللسانيات النشأة والتطور، (التوطئة).

وقائع اللغة التي يمكن ملاحظتها"[١]، وقد جاءت الشواهد على ذلك كثيرة في كتاب الله وكلام العرب سنفصلها بالشرح والتحليل عما قليل.

وَذَهَبَ الخَلِيلُ وسِيبَوَيْهِ والبَصْرِيُّونَ إِلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ زِيَادَتُهَا فَي الْجَزَاءِ[٢]، وذَلِكَ حِينَ سَأَلَ سِيبَوَيْهِ الْخَلِيلَ عَنْ قَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾[٣] أَيْنَ جَوَابُهَا؟ ... فَقَالَ: إِنَّ الْعَرَبَ قَدْ تَتْرُكُ فِي مِثْلِ هَذَا الْخَبَرَ الْجَوَابَ فِي كَلَامِهِمْ، لِعِلْمِ الْمُخْبَرِ لِأَيِّ شَيْءٍ وُضِعَ هَذَا الْكَلَامُ"[٤]. وَزِيَادَتُها غَيْرُ جَائِزَةٍ عِنْد الْبَصرِيين؛ لِتَذَرُّعِهِمْ بِأَنَّهَا حَرْفٌ "مِنْ حُرُوفِ الْمَعَانِي فَلَا يَجُوزُ أَنْ تُزَادَ"[٥]، قَالَ ابْنُ يَعِيشَ: "وأَمَّا أَصْحَابُنَا فَلا يَرَوْنَ زِيادَةَ هَذِهِ الْوَاوِ، ويَتَأَوَّلُونَ جَمِيعَ مَا ذُكِرَ، ومَا كَانَ مِثْلَهُ بَأَنَّ أَجْوِبَتَهَا مَحْذُوفَةٌ لِمَكَانِ الْعِلْمِ بِهَا"[٦]، وإنما حذف الجواب في المواضع التي اعتد بها الكوفيون للعلم به، واستندوا على أن حذف الجواب جاء في كتاب الله تعالى وكلام العرب كثيرًا، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾[٧]، فحذف جواب "لو" ولا بدّ لها من الجواب، والتقدير فيه: ولو أن قرآنا سُيِّرَت به الجبال أو

(١)جان بيرو: اللسانيات، ترجمة: الحواس مسعودي، ومفتاح بن عروس، ص: ٧.

(٢) ينظر: أبو البركات الأنباري: الإنصاف: ٢/ ٣٧٤.

(٣) سورة الزمر، جزء الآية: ٧٣.

(٤) سيبويه: الكتاب: ٣/ ١٠٣.

(٥)النحاس: معاني القرآن: ٣/ ٢٩٣، وينظر: أبو البركات الأنباري: الإنصاف:٢/ ٣٧٦

(٦) ابن يعيش: شرح المفصل: ٥/ ١٢.

(٧) سورة الرعد، جزء الآية: ٣١.

قطعت به الأرض لكان هذا القرآن، فحذفه للعلم به توخّيًا للإيجاز والاختصار[١]، "ثم حذف الجواب أبلغ في المعنى من إظهاره، ألا ترى أنك لو قلت لعبدك "والله لئن قمت إليك" وسكتَّ عن الجواب ذهب فكره إلى أنواع من العقوبة والمكروه من القتل والقطع والضرب والكسر، فإذا تمثلَتْ في فكره أنواع العقوبات وتكاثرت عظمت الحال في نفسه ولم يعلم أيها يتقي؛ فكان أبلغ في رَدْعِهِ وزَجْرِهِ عما يُكْرَه منه"[٢].

والعلة الحقيقية وراء رفض البصريين وقوعَ الواو في جواب الشرط أنهم انتهجوا المنهج المعياري الذي يقوم على فرض القاعدة، ويعول على معيار الصواب والخطأ، واللغة عند أصحاب ذلك المنهج "ما يجب أن يتكلمه الناس، وليست ما يتكلمه الناس بالفعل"[٣].

(١)أبو البركات الأنباري: الإنصاف:٢/ ٣٧٧.

(٢)أبو البركات الأنباري: الإنصاف:٢/ ٣٧٧، ٣٧٨.

(٣) كمال بشر: دراسات في علم اللغة، ص: ٥٠.

المَبْحَثُ الثَّانِي: شَواهِدُ وُقُوعِ الواوِ والفاءِ في جَوابِ "لما، وحتى إذا" بين البصريين والكوفيين "عرض ونقد وتحليل":

ثمَّةَ عَدَدٌ من الشّواهدِ النحويَّةِ (قُرْآنيَّةٍ وشِعْريَّةٍ) وَقَعَتْ فيها الْواوُ والفاءُ زائدتين، اخْتَرْتُ بعضَها نماذجَ تطبيقيّةً للوقوفِ من خلالها على آراءِ النحاةِ وإظْهارِ آرَاءئهم، وَعَرْضِ حُجَجِهِمْ وَمُسَوِّغَاتِهِمْ الَّتِي ارْتَكَزُوا عَلَيْهَا فِي الشَّوَاهِدِ الَّتِي أُقْحِمَتْ فِيهَا الْوَاوُ والفاءُ فِي جَوَابِ الشَّرْطِ وتَفْسِيرِهَا، وَتَحْلِيلِهَا.

أولًا: الشواهد القرآنية:

(١) قوله (تعالى):

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾[١]

للنحاة والمفسرين في جواب (فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ) ثلاثةُ آراء:

أحدهما: "أَنَّهُ مَحْذُوفٌ، وتقديره: فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَجْمَعُوا، هذا مذهب الخليل وسيبويه وهو نص لهما في قول امرئ القيس[٢]:

---

(١) سورة يوسف، جزء الآية: ١٥.

(٢)الشاهد لامْرِئِ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من الطويل، وهو في: ديوانه، ص: ٣٩، وينظر الشاهد في: الفراء: معاني القرآن، ، ٢/ ٥٠، ٢١١، وينظر: الطبري: جامع البيان: ١٥/ ٥٧٥، ١٨/ ٥٣٣، وابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، ص: ١٥٩، وكراع النمل: المنتخب، ص: ٦٩٤، والزَّوْزَني: شرح المعلقات السبع، ص: ٥٠، التبريزي: شرح القصائِد العشر، ص: ٢٦، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١/ ٣٨٥، ٤/ ٣٣٦، ٩/ ١٤٢، ١١/ ٣٤٢، ١٧/ ٢٩٣، والسمين الحلبي: الدر المصون: ٣٤٦/١، ٦/ ٤٥٣، والشوكاني: فتح القدير، ٣/ ٥٠٤.

فَلَمَّا أجَزْنَا سَاحَةَ الحَيِّ وانْتَحى بنا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ"[1].

ومنهم من قَدَّرَهُ: عَرَّفْنَاهُ وَأَوْصَلْنَا إِلِيهِ الطُّمَأْنِينَةَ[2]، وقدره الزمخشريُّ: فَعَلُوا بِهِ مَا فَعَلُوا مِنَ الأَذَى[3]، لِظُهُورِهِ وَدَلَالَةِ الْمَقَامِ عَلَيْهِ[4]، وقدره غيره: عظمت فتنتهم[5]، وآخرون: جعلوه فيها[6]، وهذا أولى؛ لدلالة الكلام عليه[7]. وَحَذْفُ الْجَوَابِ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ الْمَذْكُورُ دَلِيلًا عليه، وهاهنا كَذَلِكَ[8].

---

(١) ابن عطية: المحرر الوجيز: ٣/ ٢٢٥.

(٢) السمين الحلبي: الدر المصون: ٦/ ٤٥٣، وأبو حفص النعماني والمشهور بـ: (ابن عادل): اللباب: ١١/ ٣٥.

(٣) الزمخشري: الكشاف: ٢/ ٤٤٩، والبيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣/ ١٥٧، والنسفي: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): ٢/ ٩٩، وأبو حيان: البحر المحيط، ٦/ ٢٤٨، والسمين الحلبي: الدر المصون: ٦/ ٤٥٣، والشوكاني: فتح القدير، ٣/ ١٣.

(٤)الشوكاني: فتح القدير: ٣/ ١٣.

(٥) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: ٩/ ١٤٢، أبو حيان: البحر المحيط، ٦/ ٢٤٨، والسمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ٦/ ٤٥٣، أبو حفص النعماني: اللباب في علوم الكتاب، ١١/ ٣٥.

(٦) الفخر الرازي: تفسير الفخر الرازي: ١٨/ ٤٢٧، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ٩/ ١٤٢، وأبو حيان: البحر المحيط، ٦/ ٢٤٨، والسمين الحلبي: الدر المصون: ٦/ ٤٥٣، أبو حفص النعماني: اللباب في علوم الكتاب، ١١/ ٣٥، والشوكاني: فتح القدير: ٣/ ١٣.

(٧) أبو حيان: البحر المحيط، ٦/ ٢٤٨، والسمين الحلبي: الدر المصون: ٦/ ٤٥٣، أبو حفص النعماني: اللباب في علوم الكتاب، ١١/ ٣٥.

(٨) الفخر الرازي: تفسير الفخر الرازي: ١٨/ ٤٢٧.

الثاني: أنَّ الجوابُ مثبتٌ، وهو قولُه (تعالى): ﴿قَالُواْ يا أبانآ إِنَّا ذَهَبْنَا﴾[١]، أي: لمَّا كان كَيْتَ وكَيْتَ قالوا، ورأى أبو حيان أنه: تَخْرِيجٌ حَسَنٌ[٢]، ووصفه غيره بأنَّ فيه بُعْدًا؛ لبُعْدِ الكلامِ مِنْ بعضه[٣].

الثالث: أن الجواب هو قوله: "وأَوْحَيْنَا" والواو فيه زائدة، أي: فلما ذهبوا به "أَوْحَيْنَا"، وهو رأي الفراء[٤] والكوفيين[٥]، وردّه ابن عطية بقوله: "وقال بعض النحاة- في مثل هذا-: إن الواو زائدة- وقوله مردود؛ لأنه ليس في القرآن شيء زائد لغير معنى"[٦].

والحق أن هذه الآراء تحتاج إلى قراءة متأنية ومناقشة موضوعية، فَمَنْ رَأَوْا حَذْفَهُ وَقَدَّرُوهُ: فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَجْمَعُوا، ففيه نظرٌ: من حيثُ اتِّخاذُ الفعلَيْنِ الجارِيَيْنِ مَجْرى الشرط والجواب، إلاَّ أَنْ يُقال:جَعَلَ التغايرُ في الآيةِ بعمل أجمعوا الثاني في المصدر المؤول... والظَّاهِرُ أنَّ مِثْلَ هَذَا لَا يَكْفِي

(١) سورة يوسف، جزء الآية: ١٧.

(٢) أبو حيان: البحر المحيط: ٦/ ٢٤٨.

(٣) ينظر: السمين الحلبي: الدر المصون: ٦/ ٤٥٣، أبو حفص النعماني: اللباب: ١١/ ٣٥.

(٤) الفراء: معاني القرآن: ٢/ ٥٠.

(٥)الفخر الرازي: تفسير الفخر الرازي: ١٨/ ٤٢٧، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ٩/ ١٤٢، والزمخشري: الكشاف: ٢/ ٤٤٩، والبيضاوي: أنوار التنزيل: ٣/ ١٥٧، و النسفي: تفسير النسفي: ٢/ ٩٩، أبو حيان: البحر المحيط، ٦/ ٢٤٨، والسمين الحلبي: الدر المصون: ٦/ ٤٥٣، والشوكاني: فتح القدير، ٣/ ١٣.

(٦) ابن عطية: تفسير ابن عطية: ٣/ ٢٢٥.

فِي التَّغَايُرِ[1]، وكَمَا لم يَرُقْ للقُدَمَاءِ فَإِنَّهُ لا يَرُوقُ لي، إِذْ لَيْسَ مِنَ الْمَقْبُولِ أَنْ يَكُونَ التَّرْكِيبُ: فَلَمَّا أَجْمَعُوا أَجْمَعُوا؛ فليس ثمة جديد أضافه، ناهيكم عن أن مثل هذا التقدير – من وجهة نظري – يُصِيب التركيب بالضعف، ويفقده بلاغته، ويفكك أواصره، ويمزق عُرَاهُ. أما بقية التقديرات المفترضة، وهي: عَرَّفْنَاهُ وأَوْصَلْنَا إِلِيهِ الطُّمَأْنِينَةَ، أو: فَعَلُوا بِهِ مَا فَعَلُوا مِنَ الأَذَى، أو: عَظُمَتْ فِتْنَتَهُم، أو: جَعَلُوه فيها، فبقليل من التأمل في السياق التركيبي والسياق الخارجي نرى أن هذه المعاني التي قدروها موجودة في النص؛ لأن جملة الجواب تتكافأ مع الخبر، والخبر في صناعة النحو هو الجزء المتمم للفائدة فهكذا يجب أن يكون الجواب؛ إذ يجب أن يعطي الجوابُ المتلقيَ فائدةً مقنعةً يتم بها الشرط، فهل هذه الجمل كافية لأداء المعنى المطلوب أم أن هذه التقديرات معانٍ مستنبطة من خلال السياق التركيبي والخارجي الذي نعلمه عن قصة يوسف عليه السلام؟، فهي إذن لا تزيد عن كونها شَرْحًا أو اسْتِنْبَاطًا، لا تضيف جَدِيدًا للمتلقي؛ لأنّ في إلقائهم له في البئر أذى، وبفعلهم هذا تعظم الفتنة، وطبعي أنهم أجمعوا على أن يجعلوه فيها؛ فما الجواب الجديد المقنع الذي يحسن الاكتفاء به والذي قدمته هذه الافتراضات للمتلقي؟.

وليس من المناسب أن يكون الجواب: "قالوا يا أبانا"؛ لأن هذه الجملة تأتي في سياق مشهد جديد يُمَثِّلون فيه على أبيهم؛ حيث يبدأ ذلك المشهد بزمان ومكان مختلفين؛ لينتفض الأب على صوت نحيبهم وعويلهم وبكائهم

(١) ينظر: السمين الحلبي: الدر المصون: ٦/ ٤٥٣، ٩/ ٣٢٣، ٣٢٤، وأبو حفص النعماني: اللباب: ١١/ ٣٥، ١٦/ ٣٣٤، ٣٣٥.

وصراخهم ودموعهم الخادعة الكاذبة ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾[1]، ثم يحكون له قصة مُلَفَّقَةً نسجوها من وحي خيالهم، فقالوا: ﴿يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[2]؛ إن هذا الحكي الكاذب الْمُغَلَّفَ بالبكاء المزيف يتصل بوشيجة قوية بالقصة المصطنعة التي أرادوا بها طمس الحقيقة السوداء والفعلة الشنعاء؛ لأنهم تركوا يوسف وراءهم في البئر؛ فهم هنا يتحدثون ويعللون قصتهم الكاذبة لا قصتهم الحقيقية؛ وبناء عليه فليس من منطق القصة وتتابعها أن يكون: (قالوا يا أبانا...) جوابًا؛ لأنه إخبار عما لفقوه وحاكوه من وحي خيالهم، ولا يمت بصلة للواقع الذي ارتكبوه، ولا يمكن أن يكون جوابًا لقوله (تعالى): ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا﴾؛ إذ الصلة منفكة بين هذا القول وذاك الفعل.

بقي قوله (تعالى): ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، وهو الجواب القرآني الذي ارتضاه الفراء والكوفيون؛ فبه – من وجهة نظري – تتم الفائدة التي يرجوها من يسمع الشرط؛ فالمعنى: فلما ذهبوا به وأجمعوا أمرهم أوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا الذي كَادُوهُ لك، وهم لا يشعرون.

---

(١)سورة يوسف، الآية: ١٦.

(٢) سورة يوسف، جزء الآية: ١٧.

(٢) قوله (تعالى):

﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾(١)

للنحاة في جواب الشرط ثلاثة آراء، وهي:

الأول: قَالَ الْبَصْرِيُّونَ: الْجَوَابُ مَحْذُوفٌ وَالتَّقْدِيرُ: قَالُوا يَا وَيْلَنَا، وَهُوَ قَوْلُ الزَّجَّاجِ(٢)، ووصفه القرطبي بأنه قَوْلٌ حَسَنٌ(٣).

الثاني: وَقَالَ الْفَرَّاءُ وَالْكِسَائِيُّ وَغَيْرُهُمَا: وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ معناه: اقترب(٤)، والْوَاوُ زَائِدَةٌ مُقْحَمَةٌ، وَالْمَعْنَى: حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ" فَاقْتَرَبَ" جَوَابُ" إِذَا"(٥).

---

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٩٦، ٩٧.

(٢) ابن عطية: المحرر الوجيز: ٤/ ١٠٠، وأبو البركات الأنباري: الإنصاف: ٢/ ٣٧٦، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ١١/ ٣٤٢، وأبو حفص النعماني: اللباب: ١٣/ ٦٠١، والشوكاني: فتح القدير: ٣/ ٥٠٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١١/ ٣٤٢.

(٤)الفراء: معاني القرآن: ١/ ٢٣٨، ٣/ ٢٥٠.

(٥) ينظر: الفراء: معاني القرآن: ١/ ٢٣٨، والطبري: تفسير الطبري: ١٨/ ٥٣٣، وابن عطية: المحرر الوجيز: ٤/ ١٠٠، وأبو البركات الأنباري: الإنصاف: ٢/ ٣٧٦، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ١١/ ٣٤٢، وأبو حفص النعماني: اللباب: ١٣/ ٦٠٠، والشوكاني: فتح القدير: ٣/ ٥٠٤.

الثالث: وَهُوَ رَأْيٌ ارْتَضَاهُ عَدَدٌ مِنَ النُّحَاةِ والمُفَسِّرِينَ، مِنْهُمْ ابن عطية[١] فبعد أن عرض الرأيين السابقين قال: "والذي أقول: إن الجواب في قوله: فَإِذا هِيَ شاخِصَةٌ، وهَذَا هُوَ المَعْنَى الذي قُصِدَ ذِكْرُهُ؛ لأَنَّهُ رُجُوعُهُمْ الذي كانوا يكذبون به، وحرم عليهم امتناعه"[٢]. وَأَجَازَ الْكِسَائِيُّ في بعض أقواله: "أَنْ يَكُونَ جَوَابُ(إِذَا) "فَإِذا هِيَ شاخِصَةٌ أَبْصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا" وَيَكُونُ قَوْلُهُ:"وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ" مَعْطُوفًا عَلَى الْفِعْلِ الَّذِي هُوَ شَرْطٌ"[٣]. وقَدّمَهُ العُكْبَرِيُّ عَلَى الرَّأْيَيْنِ الآخَرَيْنِ[٤].

وأَرَى أَنَّ رَأْيَ البَصْرِيّينَ والزَّجَّاجِ بحاجة إلى إعَادَةِ نَظَرٍ؛ لأَنَّهُ يَتَجَافَى عن سياق الآيات؛ ذلك أن الآيات تبدأ بجملة الشرط التي ترتكز على فتح سد يأجوج ومأجوج؛ ثم يعطف الحق سبحانه وتعالى على جملة الشرط جملة معترضة وهي قوله (تعالى): ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ وهي تصوير حسي لذلك السيل الجارف من هذا الخلق الذي يبتلع كل ما يقابله، ثم يعطف عليها جملة أخرى، وهي قوله (تعالى): ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ التي تصلح أن تكون جزاءً؛ فالمعنى أنه حين يفتح سد يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق، أي اقترب يوم القيامة، ونستطيع أن نلمح في الواو معنى المعية؛ فاقتراب يوم القيامة يكون مصاحبًا لفتح يأجوج ومأجوج.

ثم تأتي جملة ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ التي يجوز أن تكون جزاء – سنفصل القول فيها عما قليل – يعقبها جملة (يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا

(١) وهناك كثيرون غيره سنذكرهم في مناقشة الآراء وترجيحها.

(٢) ابن عطية: المحرر الوجيز: ٤/ ١٠٠.

(٣) القرطبي: تفسير القرطبي: ١١/ ٣٤٢.

(٤) ينظر: العكبري: التبيان في إعراب القرآن: ٢/ ٩٢٧.

فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ) وهذه الجملة متصلة بوشيجة من المنطق الفكري والتتابع الجملي بالجملة السابقة عليها؛ لأن هذا القول (يا ويلنا..) صادر من هؤلاء الكافرين، وبناء عليه لا تصلح عقلا أو نظمًا أن تكون جزاء لفتح سد يأجوج ومأجوج؛ إذ لا صلة مباشرة بينها وبين فتح سد يأجوج ومأجوج إلا عن طريق شُخُوصِ أبصار الذين كفروا، ومن ثَمَّ فلسنا في حاجة إلى تقدير قول محذوف قبلها؛ لأنها لا تقوى على أن تكون جزاءً، وبناء على ذلك فإني لا أتفق مع القرطبي على حسن هذا الرأي، ونعته إياه بأنه "قَوْلٌ حَسَنٌ"(١)، ولا على تعليله لكثرة الحذف في مثل هذه المواضع، واستشهاده بقول الله (تعالى): ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾(٢)، الْمَعْنَى: قَالُوا مَا نَعْبُدُهُمْ، وَحَذْفُ الْقَوْلِ كَثِيرٌ"(٣). لا أستطيع أنْ أَلْمَحَ أَدْنَى وَجْهِ شَبَهٍ بين هذا وذاك، فهو يستدل بشيء يكثر حذف القول فيه؛ لكنه لا يمت بأية صلة لما نحن فيه.

والأرجح عندي أن قوله (تعالى): ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هي جواب الشرط؛ لأَنَّ (إِذَا) هَاهُنَا لِلْمُفَاجَأَةِ ... وَهِيَ تَقَعُ فِي الْمُجَازَاةِ سَادَّةً مَسَدَّ الْفَاءِ كَقَوْلِهِ (تعالى): ﴿إذا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾(٤) فَإِذَا جَاءَتِ

(١) القرطبي: تفسير القرطبي: ١١/ ٣٤٢.
(٢) سورة الزمر، جزء الآية: ٣.
(٣) القرطبي: تفسير القرطبي: ١١/ ٣٤٢.
(٤) سورة الروم، جزء الآية: ٣٦.

الْفَاءُ مَعَهَا تَعَاوَنَتَا عَلَى وَصْلِ الْجَزَاءِ بِالشَّرْطِ فَيَتَأَكَّدُ وَلَوْ قيل: فَإِذا هِيَ شاخِصَةٌ أَوْ فَهِيَ شَاخِصَةٌ كَانَ سَدِيدًا"(١).

(٣) قوله (تعالى):

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَن يا إبراهيم قَدْ صَدَّقْتَ الرؤيآ﴾(٢)

ذَكَرَ النَّحْوِيُّونَ واللُّغَوِيُّونَ والمُفَسِّرُونَ ثَلاثةَ أَوْجُهٍ فِي جَوَابِ "لَمَّا"، وَهِيَ:

الأول: أَنَّهُ مَحْذُوفٌ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ يُقَدَّرُ قَبْلَ "وَتَلَّهُ" وَهُوَ مَذْهَبُ الْخَلِيلِ وَسِيبَوَيْهِ(٣)، وتَقْدِيرُهُ عندهما: فَلَمَّا أَسْلَما أَسْلَما وَتَلَّهُ(٤)، وقدّره الرضي: "فلمَّا أَسْلَمَا كَانَ مِنْ لُطْفِ اللهِ مَا لا يُوْصَفُ"(٥)، أو بَعْدَ "وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ"؛ أَيْ أَجْزَلْنَا أَجْرَهُمَا، أو ظَهَرَ صَبْرُهُمَا، أو نادته الملائكة(٦)، أو فَدَيْنَاهُ بِكَبْشٍ(٧)، أو رُحِمَا

---

(١)الرازي: تفسير الفخر الرازي: ٢٢/ ١٨٦، والبيضاوي: أنوار التنزيل: ٤/ ٦٠، و النسفي: تفسير النسفي: ٢/ ٤٢٠.

(٢) سورة الصافات، الآيات: ١٠٣ – ١٠٥.

(٣) ابن عطية: المحرر الوجيز، وذكر أن هذا الرأي نَصٌّ لهما في قول امرئ القيس: فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى...، ٣/ ٢٢٥، ٤/ ٤٨١، ٥٤٣، والحق ما أثبتناه من أنه نص لهما في سؤال سيبويه للخليل عن آيات سورة الزمر التي عرضناها في المتن، ولم يرد ذكر لأبيات امرئ القيس في العين للخليل أو الكتاب لسيبويه، وينظر نسبة الرأي لسيبويه والخليل: أبو حيان: البحر المحيط: ٩/ ١١٧، وأبو حفص النعماني: اللباب في علوم الكتاب: ١٦/ ٣٣٤، وأبو العباس الفاسي: البحر المديد: ٤/ ٦١٢.

(٤) أبو حيان: البحر المحيط: ٩/ ١١٧، وينظر: أبو حفص النعماني: اللباب: ١٦/ ٣٣٤ .

(٥)أبو العباس الفاسي: البحر المديد: ٤/ ٦١٢.

(٦) أبو حفص النعماني: اللباب: ١٦/ ٣٣٤، والقاسمي: محاسن التأويل: ٨/ ٢١٩.

(٧)الرازي: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: ٢٦/ ٣٥٠، والشوكاني: فتح القدير، ٤/ ٤٦٤.

وسَعِدَا[1]، وقَدَّرَهُ بَعْضُهُمْ بَعْدَ "الرُّؤْيا"؛ أَيْ كَانَ مَا كَانَ مِمَّا تنطق بِهِ الْحَالُ وَلَا يُحِيطُ بِهِ الْوَصْفُ مِن اسْتِبْشَارِهِمَا وَحَمْدِهِمَا اللَّهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ ... أو سَعِدَ سَعَادَةً عَظِيمَةً وَآتَاهُ اللَّهُ نُبُوَّةَ وَلَدِهِ وَأَجْزَلَ لَهُ الثَّوَابَ، قَالُوا وَحَذْفُ الْجَوَابِ لَيْسَ بِغَرِيبٍ فِي الْقُرْآنِ وَالْفَائِدَةُ فِيهِ أَنَّهُ إِذَا كَانَ مَحْذُوفًا كَانَ أَعْظَمَ وَأَفْخَمَ[2].

الثاني: أنه "وَتَلَّهُ لِلْجَبِين" والواوُ زَائِدَةٌ وَهُوَ قَوْلُ الْكُوفِيّينَ والأَخْفَشِ[3].

الثالث: أنه "وَنَادَيْنَاهُ"، وهُوَ لِلْكُوفِيّينَ، وَالْوَاوُ زَائِدَةٌ مُقْحَمَةٌ[4]، ونَسَبَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ الأَنْجَرِيّ الفَاسِي لِلْكِسَائِيّ[5].

لَدَيْنَا إِذَنْ ثَلاثَةُ آرَاءٍ، أَوَّلُهَا: لِلْبَصْرِيّينَ الَّذِينَ يَرَوْنَ أَنَّ الجَوَابَ مَحْذُوفٌ، يُقَدَّرُ عِنْدَ الخَلِيلِ وَسِيبَوَيْهِ قَبْلَ "وَتَلَّهُ": فَلَمَّا أَسْلَما أَسْلَما وَتَلَّهُ، وقلنا فيه ما رأيناه في آيات سورة (يوسف) ولا داعي لإعادته هنا.

وأحسب أن موضع تقدير الجواب قبل الفعل "وتَلَّهُ"، والمقدر عند الخليل وسيبويه: "فَلَمَّا أَسْلَما أَسْلَما وَتَلَّهُ"، وعند الرضي: "فلمَّا أَسْلَمَا كَانَ مِنْ لُطْفِ اللهِ مَا لا يُوْصَفُ". غَيْرُ مُنَاسِبٍ ولا يَتَّفِقُ مع المعنى المراد من

---

(١) أبو العباس الفاسي: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ٤/ ٦١٢.

(٢) فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ٢٦/ ٣٥٠.

(٣) أبو حفص النعماني: اللباب في علوم الكتاب: ١٦/ ٣٣٥، والشوكاني: فتح القدير: ٤/ ٤٦٤، والقاسمي: محاسن التأويل: ٨/ ٢١٩.

(٤): مفاتيح الغيب: ٢٦/ ٣٥٠، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: ١٥/ ١٠٤، وأبو حفص النعماني: اللباب: ١٦/ ٣٣٥، أبو العباس الفاسي: البحر المديد: ٤/ ٦١٢، والشوكاني: فتح القدير: ٤/ ٤٦٤، والقاسمي: محاسن التأويل: ٨/ ٢١٩.

(٥)أبو العباس الفاسي: البحر المديد: ٤/ ٦١٢.

الآيات؛ لأنَّ اللهَ – عَزَّ وَجَلَّ – يَقُصُّ عَلَيْنَا قِصَّةَ إِبْرَاهِيمَ وابْنِهِ إِسْماعيلَ مِنْ أَوَّلِ رُؤْيَا الْمَنَامِ...إِلَى أَنْ يَأْتِي إِلَى الشَّرْطِ: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَن يا إبراهيم قَدْ صَدَّقْتَ الرؤيآ﴾(١)، وجُمْلَةِ الشرط هذه مكونة من ثلاث جمل متتابعة ومترابطة يَقُصُّهَا اللهُ علينا؛ ليخبرنا بقصة إبراهيم وإسماعيل، وتبدأ باستسلامهما لأمر الله، ثم كَبِّ إبراهيمَ ابْنَهُ على وجهه؛ ليذبحه ثم ينادي عليه الله – عز وجل – بأنك قد امتثلت لأمر الله فصدقت الرؤيا، فإذا حاولنا وضع الجواب عقب الجملة الأولى فإننا نَبْتُرُ الْقِصَّةَ ونَجْعَلُ الجملتين الأخيرتين خارجَ إِطَارِ الصُّورَةِ، ولو افترضنا أنَّ أَحَدًا يقرأ هذه القصَّةَ للمرة الأولى، ولا عِلْمَ له بها من قَبْلُ، ثم نَبْتُرُهُا، ونقول له: فلمَّا أَسْلَمَا أَسْلَمَا، أو فَلَمَّا أَسْلَمَا كَانَ مِنْ لُطْفِ اللهِ مَا لا يُوصَفُ، هَلْ يَقْدِرُ عَلَى فَهْمِ شَيْءٍ؟، أَلَمْ نُعَتِّمْ عليه بَقِيَّةَ الْقِصَّةِ؟ ولَوْ حَاوَلْنَا تَقْرِيبَ الفِكْرَةَ بِمِثَالٍ من عندنا فنقول: إنْ شَرَحَ المُعَلِّمُ، وأَتْقَنَ وأَجَادَ، واسْتَحَقَّ الجَائِزَةَ، إن قَدَّرْنَا كَمَا قَدَّرُوا، وأغفلنا الجمل التي تستكمل بقية الشرط وتؤدِّي المعنى المنُوطَ من مُجْمَلِ تَسَلْسُلِ الجُمَلِ وتَتَابُعِهَا فقلنا: إنْ شَرَحَ المُعَلِّمُ شَرَحَ، فقد اجْتَزَأْنا وغيَّرْنا المراد؛ لأنَّنَا طَمَسْنَا مَلامِحَ التركيب، ومن ثَمَّ يَضِيع المعنى المنوطُ فَهْمُهُ بيْنَ الاجْتِزَاءِ، والتَّقْدِيرِ المجافي للواقعِ، وهذا بالضَّبْطِ ما فَعَلَهُ من تَعَجَّلَ فقدَّرَ الجوابَ عَقِبَ الشَّرْطِ مباشرةً، وأَهْمَلَ الجُمَلَ المُتَعَاطِفَةَ المُتَنَاسِقَةَ التي تُكْمِلُ القِصَّةَ، وتَضَعُهَا كُلَّهَا دَاخلَ إِطَارٍ وَاحِدٍ لا يَجُوزُ بَتْرُهَا أو تَمْزِيقُ أَوَاصِرَهَا وهَلْهَلَةُ عُرَاهَا.

(١) سورة الصافات، الآيات: ١٠٣ – ١٠٥.

ومن قدّرَ الجواب بعد "وتله للجبين" يكون أيضًا اجتزأ القصة فأخرج الجملة الأخيرة التي تضع نهاية إلهية للقصة خارج النطاق، وهو بذلك قد قصَّ ثلثها؛ ومن ثم لا يبقى لنا إلا جملتان لا تعبران عن مراد الله – عز وجل – وهما: ﴿فلما أسلما﴾ و﴿وتله للجبين﴾... وماذا بعد؟ هل اكتملت القصة بهاتين الجملتين أم ينقصها ضلع ثالث؟، لذا افترضوا أجوبة بعد "وتَلَّهُ"، وهي: أَجْزَلْنَا أَجْرَهُمَا، أو ظَهَرَ صَبْرُهُمَا، أو نادته الملائكة، أو فَدَيْنَاهُ بِكَبْشٍ، أو رُحِمَا وسَعِدَا، وهل هذه الأجوبة قادرة على وضع حد أو نهاية للقصة، إذ عندنا تراكيب مجسمة بالصور، فإبراهيم عليه السلام بعد أن أخبر ابنه بما رآه في المنام، وامتثل الابن طاعةً لأبيه، إلا أن الألم والحزن والخوف يعتصر فؤاديهما ويسيطر على كيانهما، ثم يبدأ المشهد الأصعب في حياة أي إنسان في هذا الوجود، وهو الاستسلام، استسلام إبراهيم لأمر الله، واستسلام إسماعيل لأمر ربه وطاعة أبيه...فبعد هذا الاعتصار والإعصار الذي ألمَّ بهما أقبلا على التنفيذ، فلما استسلما، تأتي الخطوة التالية، وهي الأصعب في هذا الكون التي تزلزل كيان أي أحد، إنه أمر ترتعد منه الفرائص، وتجف معه الدماء في العروق، وتنقطع الأنفاس، وتلتصق الشفاه في الحلوق، وتنخلع معه وله القلوب، وتذهل العقول، فلا يطيقه إلا نبيٌّ ونبيٌّ ابنُ نبيٍّ، أقصد طَرْحَ إبراهيمَ ابْنَه – عليهما السلام – أرضًا، وكبه على وجهه، وشروعه في تنفيذ الذبح، وهنا تأتي تقديرات النحاة وافتراضاتهم إلا أنها من وجهة نظري قلقة نابية لا محل لها هنا لأكثر من سبب، أولها أن المشهد لم يُوْضَعْ حَدٌّ لنهايته، ولا يملك أحد في هذا الكون وَضْعَ هذه النهاية إلا الله – سبحانه وتعالى – فيجب أن يأتي الجواب والجزاء ممن بيده أمر إنهاء ذلك المشهد، ولا يملكه إلا الله – عز وجل – وهل عند هذه النقطة أعني ﴿وتله للجبين﴾ نفّذ إبراهيم أمر الله أم أنه بَدَرَ

منه كلٌ ما يجب فعله، ولكنه لم ينفّذ بعد، وهنا يظهر السبب الثاني، وهو أنه لا محل لعبارات الجزاء التي قدرها النحاة كـ: أَجْزَلْنَا أَجْرَهُمَا، أو رُحِمَا وسَعِدَا، أو ظَهَرَ صَبْرُهُمَا.

لا معنى أيضًا لتقديرهم: "نَادَتْهُ الملائكة"؛ لأن الله- عز وجل – يقول: ﴿وناديناه أن يا إبراهيم﴾ آلله أم الملائكة؟ مع أن الملائكة رسل رب العالمين، لكن لا يصح أن ينسب المولى – عز وجل – أمر النداء إلى نفسه المعظمة، ثم نستبدل قوله عن ذاته وننسبه إلى رسله؛ فلا أحد يملك خلاص إبراهيم وإسماعيل من تلك المحنة وذلك الامتحان إلا هو، ومن ثم فلا يجوز أن نقول: (فلما أسلما وتله للجبين نادته الملائكة وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا)؟ لأنه ليس مقبولا معنى وتأدبًا مع الله.

وهناك من قدّر الجوابَ بعد "الرؤيا"؛ أي بعد ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَن يا إبراهيم قَدْ صَدَّقْتَ الرؤيآ﴾ بـ: كَانَ مَا كَانَ مِمَّا تنطق بِهِ الْحَالُ وَلَا يُحِيطُ بِهِ الْوَصْفُ مِنِ اسْتِبْشَارِهِمَا وَحَمْدِهِمَا اللَّهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ ... أو سَعِدَ سَعَادَةً عَظِيمَةً وَآتَاهُ اللَّهُ نُبُوَّةَ وَلَدِهِ وَأَجْزَلَ لَهُ الثَّوَابَ(١).

صحيح أنه قدَّر الجواب بعد تمام القصة واستكمالها، ولكن هل المعنى الذي قدَّره النحاة والمفسرون: مِنِ اسْتِبْشَارِهِمَا وَحَمْدِهِمَا اللَّهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ ... أو سَعِدَ سَعَادَةً عَظِيمَةً وَآتَاهُ اللَّهُ نُبُوَّةَ وَلَدِهِ وَأَجْزَلَ لَهُ الثَّوَابَ هل هو الجواب أم استنتاج لما أسفرت عنه القصة بعد أن منحهم الله طوق النجاة؟ ربما يكون الأقرب إلى النفس أنه استنتاج وشرح لحالهما، وما انتابهما من فرح وسعادة وبشارة وحمد وثناء وشكر مما لا يحيط به وصف حين فرَّج الله

(١) الرازي: مفاتيح الغيب: ٢٦/ ٣٥٠.

عنهما ذلك الكرب، وخلّصهما من تلك المحنة وذلك الابتلاء المبين، بأن رد لإبراهيم قلبه ومنح ابنه الحياة فكُتِبَ له مولدٌ من جديد، وطبعي فإن الله – عز وجل – سيسبغ عليهما جزيل الثواب، وهو ما ذكره في الأيات التي أعقبت تلك الآيات، فجزاهما بالإحسان، كَتَرْكِ الثَّنَاءِ الحَسَنِ والذِّكْرِ الصَّالحِ لإبراهيم عليه السلام، ألمْ يُوْجِبْ علينا أن نسلم عليه وعلى آله في كل صلاة؟، وبشَّرَهُ بإسحاق نبيًّا من الصالحين، وبارك عليه وعلى إسحاق؛ كل ذلك لامتثاله لأمر الله الذي لا يطيقه ولا يقدر على تنفيذه إلا الأنبياءُ.

وينسحب ما قلناه عن التقديرين السابقين من أنهما استنتاج للحالة التي آل إليها إبراهيم وابنه، وما كان من مجازاة الله لهما على كل تقديرات النحاة، التي افترضوها سواء من قدرها قبل وتله مثل: فَلَمَّا أَسْلَما أَسْلَما وَتَلَّهُ، أو: "فلمَّا أَسْلَمَا كَانَ مِنْ لُطْفِ اللهِ مَا لا يُوْصَفُ"، أو بَعْدَ "وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ"؛ كما قدره بعضهم بـ: أَجْزَلْنَا أَجْرَهُمَا، أو ظَهَرَ صَبْرُهُمَا، أو نادته الملائكة، أو فَدَيْنَاهُ بِكَبْشٍ، أو رُحِمَا وسَعِدَا، وقد ناقشنا هذه الافتراضات التي هي تَوَقُّعٌ من النحاة والمفسرين لما آلت إليه حالته، باستثناء: فَدَيْنَاهُ بِكَبْشٍ، والذي أراه غير مناسب، لأن الله – عز وجل – نصّ عليه بعد قليل من هذا الافتراض بقوله (تعالى): ﴿وفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ ومن ثم لا يكون مقبولا أن نفترض أن الجواب فديناه بكبش، وهو منصوص عليه من الله – عز وجل – في كيفية الافتداء بعد أربع آيات من بداية الشرط.

تلكم كانت آراء البصريين وتقديراتهم وافتراضاتهم، أما الكوفيون فينحصر الجواب عندهم في تركيبين:

الأول: أنه "وَتَلَّهُ لِلْجَبِين" والواو زائدة وهو قول الكوفيين والأخفش، وهم بذلك لا يقدرون جوابًا من خارج النص؛ بل ينبع الجواب من النص نفسه؛

ولكننا لا يمكننا قبول ذلك الرأي؛ إذ ينطبق عليه ما انطبق على من قدروا الجواب بعد وتله، ولما قلناه سالفًا من أن هذه القصة الموجزة التي تتكون من ثلاثة تراكيب هي أضلاعها، وتبدأ باستسلامهما وامتثالهما لأمر الله (فَلَمَّا أَسْلَمَا)، ثم تتقدم خطوة وذلك حين يطرح إبراهيم ابنه أرضًا؛ فيكبه على وجهه؛ لينفذَ فيه أَمْرَ اللهِ، وهي قوله (تعالى): (وتَلَّهُ لِلْجَبِينِ)، فهل جملة (وتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) قادرةً على أن تُغلقَ نهايةَ القصَّةِ، وتضعَ حَدًّا لها أمْ أنَّنا أصْبَحْنا أمامَ ذُرْوةِ الأحداثِ وأَوْجِها، دُونَ أنْ نَصِلَ إلى نِهايَتِها؟، وليس من الطَّبَعِيِّ أنْ تَقِفَ نِهايةُ القِصّةِ عِنْدَ كَبِّ إبراهيمَ ابْنَهُ – عليهما السلام – على الأرضِ إيذانًا بِتَنْفِيذِ ما أَمَرَهُ اللهُ به وحَسْبُ.

الثاني: مع كسرة النون في (وتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) تكون أحداث القصة قد وصلت إلى ذروتها؛ وطبعي يوشك إبراهيم – عليه السلام – أن يمرر شفرة السكين على عنق ابنه تنفيذًا لأمر الله – عز وجل – وهنا يأتيه الجواب من الله – عز وجَلَّ – مُنَادِيًا إيَّاهُ ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾، وهُوَ لِلْكُوفِيّينَ، ويأتي على رأسهم الفراء الذي يَرَى وَيَنُصُّ على أنَّ جَوابَ (فَلَمَّا أَسْلَمَا) هو (وَنادَيْناهُ)(١)، والذي أراه أن هذا الرأي هو عين الصواب؛ لعدد من الأسباب، وهي:

الأول: أنها لغة العرب: فقد علل الفراء زيادة الواو في جواب الشرط بأنها "لغة العرب؛ إذ العرب تدخل الواو فى جواب فلمّا (وحتّى إذا) وتُلقيها، فمن ذَلِكَ قول الله (تعالى): ﴿حَتَّى إِذا جاؤُها فُتِحَتْ﴾ وفى موضع آخر (وَفُتِحَتْ) وكلٌّ صَوَابٌ، وَفِي قراءة عَبْد اللَّه: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ وَجَعَل

(١) الفراء: معاني القرآن: ٢/ ٣٩٠.

السِّقَايَةَ﴾ وَفِي قراءتِنَا بغير واو"[1]، وهو بصنيعه هذا يطبق المنهج الوصفي بِحَذَافِيرِهِ ورُمَّتِهِ؛ لأن الوصفية في نظر الدرس اللغوي الحديث: "علم يصف اللغات أو اللهجات كما هي مستعملة في الواقع، لا كما يجب أن تكون"[2]. وهكذا تشتغل اللسانيات؛ فهي ترتكز على تشخيص الظواهر اللغوية تشخيصًا علميًّا، وتنطلق منها دون إصدار أحكام مسبقة، أو وضع فرضيات من لدن الباحث قد تصبغ البحث بالصبغة الذاتية؛ مما ينتج عنه إبعاده تمامًا عن الموضوعية.

الثاني: طول الكلام: ثم نراه يقدم تفسيرًا مُبْهِرًا لمجيء الواو في جواب الشرط – فوق أنها لغة العرب – ذلكم قوله: "ولكن العرب إذا تطاولت الصفة جعلوا الكلام فِي الناقص وفي التام كالواحد؛ ألا ترى أنهم قَالُوا فِي الشعر[3]:

حَتّى إِذا قَمِلَتْ بُطونُكـــــــمْ ورأيتُـــمُ أبناءَكُـــمْ شَبُّـــوا

وقَلَبْتُـمَ ظَهْـرَ المِجَـنِّ لنـــــا إنَّ اللَّئيـــمَ العاجِزُ الخِبُّ

فجعل جواب (حَتَّى إذا) بالواو، وكان ينبغي ألا يكون فِيهِ واو، فاجتزئ بالاتباع ولا خبر بعد ذلك، ومثله فى قوله (تعالى): ﴿حَتَّى إِذا جاؤُها

---

(١) الفراء: معاني القرآن: ٢/ ٣٩٠.

(٢)أحمد مؤمن: اللسانيات النشأة والتطور، (التوطئة).

(٣) الشاهد للأسود بن يعفر النهشلي، من الكامل، وهو في: الفراء: معاني القرآن: ١/ ١٠٧، ١٠٨، ٢٨٣، ٢/ ٥١، والطبري: جامع البيان في تأويل القرآن: ٧/ ٢٩٣، وابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، ص: ١٥٩، والمبرد: المقتضب: ٢/ ٨١، وابن يعيش: شرح المفصل: ٥/ ١١، ١٢، وابن مالك: شرح تسهيل الفوائد: ٣/ ٣٥٥، والمرادي: الجنى الداني، ص: ١٦٥، والعلائي: الفصول المفيدة: ٥٣، ١٤٦، ١٤٧.

وَفُتِحَتْ أَبْوابُها وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها﴾[١]، ومثله فِي قوله (تعالى): ﴿فَلَمَّا أَسْلَما وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ﴾[٢] جعل بالواو، وَفِي قراءة عَبْد اللَّه[٣]: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ وَجَعَلَ السِّقَايَةَ﴾[٤]، وفي قراءتنا بغير واو، وكلٌّ عربيٌّ حَسَنٌ"[٥]. فقد جعل طول الجمل بسبب المتعاطفات بينها مسوغًا قويًّا لإدخال الواو في جواب الشرط.

ولنأخذ من كلام الفراء خَيْطًا ننسج به بقية الفكرة، فتلكم الواو تقع حين يكون عندنا شرط مُمْتَدٌّ؛ أي مكون من ثلاث جمل أو أكثر تتعاطف فيما بينها بتلك الواو، ويَنْبُتْ من مضمون تلك الجمل المتعاطفة قصة، وتمثل الواو الرابط بين عُرَاهَا؛ إذ تعطف الجملة الوسطى على فعل الشرط، ثم تقع واو القصة أو الحكي في جواب الشرط، فنجد في آيات الصافات ثلاث جمل تمثل أضلاع القصة، أولها: جملة الشرط (فَلَمَّا أَسْلَمَا)، وثانيها: (وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ)، وهذه الجملة تأتي معطوفة على جملة الشرط بالواو لاستكمال بعض جوانب القصة أو الحكاية التي يريد أن يوصلها لنا الله – عز وجلّ – من خلال مدلول جملة الشرط الكبيرة، وثالثها: ﴿وناديناه أن يا إبراهيم قد

---

(١)سورة الزمر، جزء الآية: ٧٣.

(٢) سورة الصافات، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤.

(٣) هي قراءة عبد الله بن مسعود، ينظر: الفراء: معاني القرآن: ١/ ١٠٨، ٢/٥٠، ٣٩٠، والطبري: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٨/ ٥٣٣، والزمخشري: الكشاف: ٢/ ٤٩٠، وابن عطية: المحرر الوجيز: ٣/ ٢٦٣، والرازي: مفاتيح الغيب: ١٨/ ٤٨٦، وأبو حيان: البحر المحيط في التفسير: ٦/ ٣٠٢، والسمين الحلبي: الدر المصون: ٦/ ٥٢٥، وأبو حفص النعماني: اللباب: ١١/ ١٥٩.

(٤) سورة يوسف، جزء الآية: ٧٠، بقراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٥) الفراء: معاني القرآن: ١/ ١٠٧، ١٠٨.

صدقت الرؤيا﴾، وهي جملة الجواب القادرة على وضع نهاية مقنعة للقصة، فكما عرفوا الخبر بأنه الجزء المتم الفائدة، أو الذي يكمل مع المبتدأ فائدة يحْسُنُ السكوتُ عليها، فكذا جملة الجواب هي الجزء الذي تتم به فائدة الشرط ولا أستطيع أن أسأل: وماذا بعد؟، وهو ما تكفل به نداء الله لإبراهيم في الصافات؛ أي ناديناه يا إبراهيم توقَّفْ فقد صدقت الرؤيا، وامتثلت لما أمرناك به؛ إنا كذلك نجزي المحسنين.

(٤) وقوله (تعالى):

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[1]

للنُّحَاةِ فِي جَوابِ "إِذَا" ثَلاثةُ آرَاءٍ، وَهِيَ:

الأَوَّلُ: أَنَّ الجَوَابَ مَحْذُوفٌ، عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ، قَالَ الخَلِيلُ: الجَوَابُ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا، وهَذَا كَمَا قَدَّرَ الخَلِيلُ قَوْلَ اللهِ (تَعَالَى): ﴿فَلَمَّا أَسْلَما وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾[2]، وَكَمَا قَدَّرَ أَيْضًا قَوْلَ امْرِئِ الْقَيْسِ:

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وانْتَحَى...

(١) سورة الزمر، الآية: ٧٣.

(٢) سورة الصافات، الآية: ١٠٣.

أيْ: أَجَزْنَا وانْتَحَى(١). وقَدَّرَهُ الْمُبَرِّدُ(٢): سُعِدُوا وَفُتِحَتْ...(٣)، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْقَوْلُ عِنْدِي أَنَّ الْجَوَابَ مَحْذُوفٌ عَلَى تَقْدِيرِ :حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا، وَكَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي ذُكِرَتْ دَخَلُوهَا فَالْجَوَابُ دَخَلُوهَا وَحُذِفَ لِأَنَّ فِي الْكَلَامِ دَلِيلًا عَلَيْهِ(٤)، والتقدير عند ابْنِ جِنِّيّ: حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا كَذَا وَكَذَا صُدِقُوا وَعْدَهُمْ وطَابَتْ نُفُوسُهُمْ, ونَحْو ذَلكَ ممَّا يُقَالُ فِي مِثْلِ هَذَا(٥)، وقدَّرَهُ الزمخشري(٦): اطْمَأنُّوا، وقال وحَقُّه أَنْ يُقَدَّرَ بَعْدَ

(١) ابن عطية: المحرر الوجيز: ٤/ ٥٤٣، النسفي: مدارك التنزيل: ٣/ ١٩٥.

(٢) لم أعثر على رأي المبرد في المقتضب، وقد تعرض للآية مرة واحدة في مقتضبه، ولم يشر إلى هذا الرأي: ٢/ ٨٠، ولربما نقلوه عنه من كتاب آخر هلك واندثر مع كثير من كتب أسلافنا.

(٣)الزجاج: معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٣٦٤، النحاس: معاني القرآن، ٦/ ١٧٩، وابن عطية: المحرر الوجيز: ٤/ ٥٤٣، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ١٥/ ٢٨٥، وأبو حيان: البحر المحيط: ٩/ ٢٢٥، والسمين الحلبي: الدر المصون: ٩/ ٤٤٧، وأبو حفص النعماني: اللباب في علوم الكتاب: ١٦/ ٥٥٤، والشوكاني: فتح القدير: ٤/ ٥٤٨.

(٤)الزجاج: معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٣٦٤، وابن عطية: المحرر الوجيز: ٤/ ٥٤٣، والقرطبي: تفسير القرطبي: ١٥/ ٢٨٥، والسمين الحلبي: الدر المصون: ٩/ ٤٤٧، وأبو حفص النعماني: اللباب: ١٦/ ٥٥٤، والشوكاني: فتح القدير: ٤/ ٥٤٨.

(٥) ابن جني:: الخصائص: ٢/ ٤٦٤.

(٦) لم أعثر على أن التقدير هو (اطمأنوا) في الكشاف أو المفصل، وكل ما قاله هو أن: "حَتَّى هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية، إلا أنّ جزاءها محذوف، وإنما حذف لأنه صفة ثواب أهل الجنة، فدل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف، وحق موقعه ما بعد خالدين. وقيل: حتى إذا جاؤها، جاؤها وفتحت أبوابها، أى مع فتح أبوابها. الكشاف: ٤/ ١٤٧.

"خَالِدِينَ"؛ لأَنَّهُ يَجِيْءُ بَعْدَ مُتَعَلَّقَاتِ الشَّرْطِ وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِ(١)، وقَدَّرَه ابْنُ يَعِيشُ: صَادَفُوا الثَّوَابَ الَّذِي وُعِدُوهُ(٢).

الثَّانِي: قوله: "وفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا" والواو زائدةٌ، وهُوَ رأيُ الكوفيين والأَخْفَشَ(٣)، وذكر الأخفش في معانيه أن الجواب هو: قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها"، فالواو في هذا زائدة(٤).

الثَّالِث: أَنَّ الْجَوَابَ هُوَ قَوْلُهُ (تَعَالَى): وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ وَالْوَاوُ مُقْحَمةٌ أَيْضًا؛ أيْ: حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا(٥).

---

(١)الزجاج: معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٣٦٤، وابن عطية: المحرر الوجيز: ٤/ ٥٤٣، السمين الحلبي: الدر المصون: ٩/ ٤٤٧، وأبو حفص النعماني: اللباب: ١٦/ ٥٥٤، الشوكاني: فتح القدير: ٤/ ٥٤٨.

(٢) ابن يعيش: شرح المفصل: ٥/ ١٢.

(٣) المبرد: المقتضب: ٢/ ٨٠، ولم ينسب الرأي لأحد، ابن جني: الخصائص: ٢/ ٤٦٤، ونسبه للكوفيين، والعكبري: التبيان: ٢/ ١١١٤، ولم ينسبه أيضًا، القرطبي: الجامع لحكام القرآن: ١٥/ ٢٨٥، وأبو حيان: البحر المحيط: ٩/ ٢٢٤، والسمين الحلبي: الدر المصون: ٩/ ٤٤٧، وأبو حفص النعماني: اللباب: ١٦/ ٥٥٣، ٥٥٤، وجلال الدين السيوطي: همع الهوامع، وذكر أن إحدى الواوين زائدة، يقصد: وفتحت، أو واو وقال لهم خزنتها، فلم ينص على الجواب: ٢/ ١٩٠، والصبان: حاشية الصبان، وذكر أيضًا أن إحدى الواوين زائدة، يقصد: وفتحت، أو واو وقال لهم خزنتها، فلم ينص على الجواب ،: ٣/ ١٤٠، والشوكاني: فتح القدير: ٤/ ٥٤٨.

(٤) الأخفش الأوسط: معانى القرآن: ١: ١٣٢، ٢/ ٤٩٦.

(٥) الفراء: معاني القرآن: ١/ ١٠٨، والأخفش الأوسط: معانى القرآن،: ١: ١٣٢، ٢/ ٤٩٦، وابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن: ١٥٨، والرازي: مفاتيح الغيب: ٢٧/ ٤٨٠، =

الرابع: أَنَّهَا وَاوُ الثَّمَانِيَةِ. وَذَلِكَ مِنْ عَادَةِ قُرَيْشٍ أَنَّهُمْ يَعُدُّونَ مِنَ الْوَاحِدِ فَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سِتَّةٌ سَبْعَةٌ وَثَمَانِيَّةٌ، فَإِذَا بَلَغُوا السَّبْعَةَ قَالُوا وَثَمَانِيَّةٌ[١]. واستدلَّ بقوله (تَعَالَى): ﴿سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وَثَمانِيَةَ أَيَّامٍ﴾[٢]، وقوله (تعالى): ﴿التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ﴾[٣]، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّامِنِ: ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[٤]، وقوله (تعالى): ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثامِنُهُمْ﴾[٥]، وقوله (تعالى): ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾[٦]. صَحِيحٌ أَنَّ أَبوابَ الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةٌ؛ لَكِنَّهُ لَيْسَ مَعْدُودًا صَرِيحًا فَنَعْطِفَ عَلَيْهِ بِوَاوِ الثَّمَانِيَةِ كَمَا هُوَ الحَالِ فِي الآيَاتِ الْمُسْتَشْهَدِ بِهَا.

وأَرْجَعَ أَصْحَابُ الرَّأْيَ الأَوَّلِ سَبَبَ الحَذْفِ إِلَى أَنَّهُ بَلَغَ فِي الْكَمَالِ إِلَى حَيْثُ لَا يُمْكِنُ ذِكْرُهُ[٧]، وأَنَّهُ شَيْءٌ لَا يُحِيطُ بِهِ الْوَصْفُ[٨]، وذَكَرَ الزَّرْكَشِيُّ

=

والقرطبي: الجامع لحكام القرآن: ١٥/ ٢٨٥، وأبو حيان: البحر المحيط: ٩/ ٢٢٤، وأبو حفص النعماني: اللباب: ١٦/ ٥٥٣، ٥٥٤، وابن مالك: شرح التسهيل: ٣/ ٣٥٥.

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ١٥/ ٢٨٥، وينظر: وأبو حفص النعماني: اللباب: ١٦/ ٥٥٣، و والشوكاني: فتح القدير: ٤/ ٥٤٨.

(٢) سورة الحاقة، جزء الآية: ٧.

(٣) سورة التوبة، جزء الآية: ١١٢.

(٤) سورة التوبة، جزء الآية: ١١٢.

(٥) سورة الكهف، جزء الآية: ٢٢.

(٦) سورة التحريم، الآية: ٥.

(٧) الرازي: مفاتيح الغيب: ٢٧/ ٤٨٠.

(٨) أبو حيان: البحر المحيط: ٩/ ٢٢٤، والبيضاوي: أنوار التنزيل: ٥/ ٥٠.

أَنَّ "حَذْفَ الْجَوَابِ يَقَعُ فِي مَوَاقِعِ التَّفْخِيمِ وَالتَّعْظِيمِ وَيَجُوزُ حَذْفُهُ لِعِلْمِ الْمُخَاطَبِ، وَإِنَّمَا يُحْذَفُ لِقَصْدِ الْمُبَالَغَةِ لِأَنَّ السَّامِعَ مَعَ أَقْصَى تَخَيُّلِهِ يَذْهَبُ مِنْهُ الذِّهْنُ كُلَّ مَذْهَبٍ، وَلَوْ صُرِّحَ بِالْجَوَابِ لَوَقَفَ الذِّهْنُ عِنْدَ الْمُصَرَّحِ بِهِ، فَلَا يَكُونُ لَهُ ذَلِكَ الْوَقْعُ"(١)، واسْتَدَلَّ الخَطِيبُ القَزْوِينِيُّ، مِنْ ضِمْنِ مَا اسْتَدَلَّ بِهِ بِآيَةِ الزُّمَرِ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾(٢)، وبِقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾(٣)، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾(٤)، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾(٥)، وعَزَا سَبَبَ الحَذْفِ إلى دَلالَتِهِ: "عَلَى أَنَّهُ شَيْءٌ لا يُحِيطُ بِهِ الوَصْفُ، أَوْ لِتَذْهَبَ نَفْسُ السَّامِعِ كُلَّ مَذْهَبٍ مُمْكِنٍ، فَلَا يَتَصَوَّرُ مَطْلُوبًا أَوْ مَكْرُوهًا إِلَّا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الأَمْرُ أَعْظَمَ مِنْهُ، وَلَوْ عُيِّنَ شَيْءٌ اقْتُصِرَ عَلَيْهِ، وربما خَفَّ أَمْرُهُ عِنْدَهُ"(٦).

وجَعَلَ السُّيُوطِيُّ التَّفْخِيمَ وَالْإِعْظَامَ... والتَّعَجُّبُ وَالتَّهْوِيلُ عَلَى النُّفُوسِ داعيًا لِحَذْفِ الجَوَابِ فِي قَوْلِهِ (تَعَالَى): ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾، فَحُذِفَ الْجَوَابُ إِذْ كَانَ وَصْفُ مَا يَجِدُونَهُ وَيَلْقَوْنَهُ عِنْدَ ذَلِكَ لَا يَتَنَاهَى فَجُعِلَ الْحَذْفُ دَلِيلًا على ضيق الْكَلَامِ عَنْ وَصْفِ مَا يُشَاهِدُونَهُ وَتُرِكَتِ النُّفُوسُ تُقَدِّرُ مَا شَاءَتْهُ وَلَا تَبْلُغُ مَعَ ذَلِكَ كُنْهَ مَا هُنَالِكَ، وَكَذَا قَوْلُهُ (تعالى): ﴿وَلَوْ

(١)الزركشي: البرهان في علوم القرآن: ٣/ ١٨٣.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٧٣.
(٣) سورة الأنعام، جزء الآية: ٢٧.
(٤) سورة الأنعام، جزء الآية: ٣٠.
(٥) سورة السجدة، جزء الآية: ١٢.
(٦)القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ٣/ ١٨٨.

تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾[1] أَيْ لَرَأَيْتَ أَمْرًا فَظِيعًا لَا تَكَادُ تُحِيطُ بِهِ الْعِبَارَةُ.[2].

دعوني أتفق مع النحاة والمفسرين والبلاغيين على أن التفخيم والإعظام، والتعجب والتهويل وذهاب النفس كل مذهب ...من مجوزات الحذف، وأتفق كذلك على أن الحذف في قوله تعالى – على سبيل المثال لا الحصر – ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ للتهويل ولعظم الأمر؛ أي لرأيت نارًا وجحيمًا وألوانًا من العذاب وصراخًا واستغاثاتٍ وحميمًا وغِسْلينًا وغَسَّاقًا، وزقّومًا ومَطارِقَ تشدخ الرؤوس، ومهلًا يغلي في البطون، وزبانيةً يصبون عليهم العذاب صبًّا، وتأنيبًا وتوبيخًا وذمًّا وشتمًا وسخريةً وقسْوةً وغِلظةً وصورًا مُرِيعَةً وصديدًا ودماءً وجوعًا وعطشًا وطعامًا مُرًّا وروائحَ نتنةً وجلودًا مُذابَةً ...ما يضيق عنه الوصفُ، ولا يقدر على استيعابه عقلٌ، ولا تَكادُ تحيطُ به العبارةُ.

لكنني أختلف معهم في ضَمِّ بعض الشواهد إلى هذا السبب كما هو الحال مع آية الزمر: ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**﴾[3] فأي تعظيم أو تهويل أو تفخيم أو تعجب في الآية؟!، وما الذي قدروه مهولًا وعظيمًا، فذهبت معه النفسُ كل مذهب؟!، ولْنَعُدْ إلى تقديراتهم مرة ثانية، وتتمثل في: (حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا، سُعِدُوا

(١) سورة الأنعام، جزء الآية: ٢٧.

(٢) ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن: ٣/ ١٩٠، ١٩١.

(٣) سورة الزمر، جزء الآية: ٧٣.

وَفُتِحَتْ، حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا، وَكَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي ذُكِرَتْ دَخَلُوهَا فَالْجَوَابُ دَخَلُوهَا، حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا كَذَا وَكَذَا صُدِقُوا وَعْدَهُمْ وطَابَتْ نُفُوسُهُمْ, ونَحْو ذَلكَ ممَّا يُقَالُ فِي مِثْلِ هَذَا، حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين اطمأنوا، حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا صَادَفُوا الثَّوَابَ الَّذِي وُعِدُوهُ) لِنَتَأَمَّلَهَا ونتفحصها ونمحصها ونتساءل، أي هول فيها؟ وهل هذا السياق أو المقام يقتضي هولًا أو حذفًا يضيق عنه؟! فهل الكلمات المقدرة كـ: دخلوها، أو سعدوا، أو اطمأنوا، أو صُدِقوا وعدهم، أو صادفوا الثواب، هل هذه من النعيم الذي لا يستوعبه عقل، فضاق عنه الوصف؟، أم أنها مجرد صناعة نحوية فحسب؟!

والحق أن الإجابة على مثل هذه التساؤلات تكمن في مراد الله – عز وجل – من مشهدي دخول الكفار النار ودخول المؤمنين الجنة؛ فبدأ بالمشهد الذي يصور فيه الكفارَ وهم يساقون إلى جهنم في قوله (تعالى): ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[1] فبعد أن وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما عملت يأتي مشهدُ الجزاء فَيُحْدِقُ زَبانِيَةُ جهنمَ بالكافرين يسوقونهم سوقًا ويدفعونهم دفعًا إلى أبواب جهنم فإذا جاءوها فتحت أبوابها ثم يكيل لهم الخزنة من التقريع والتعنيف، فيسألونهم مُقَرِّرِينَ وموبخين: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ

(١) سورة الزمر، الآية: ٧١.

عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾، فيقرون ويعترفون بأن عذابهم بسبب تكذيبهم، وما اقترفته أيديهم لذلك حقت كلمة العذاب عليهم، فيعنفهم زبانية العذاب بقولهم ادخلوا أبواب جهنم، فبئس مثوى من تكبر على الله ورسله، فأي حذف في هذا من جهة صناعة النحو؟ أليس الكلام متتابعا دون حذف حرف؟ لعلهم كانوا يقصدون التخيل، وشتان بين الحذف والتخيل، فأن تطلق لخيالك العنان في مثل هذه الآيات وتتخيل كَمَّ الإهانات كالقيود والأصفاد والدفع والزجر والضرب والشتم والتأنيب والتقريع والتوبيخ والذم...فهو أمر مباح يحق لكل أن يراه بقريحته.

ثم يتبعه الله – عز وجل – بمشهد دخول المؤمنين الجنة، في مقابلة مشهد سوق الكافرين إلى النار؛ حيث تصطحبهم الملائكة في جماعات إلى جنات تجري من تحتها الأنهار، فإذا ما جاءوها فتحت أبوابها، فما إن شارفوا على الدخول تتلقاهم خزنتها بالحفاوة والترحاب يسلمون عليهم ويبشرونهم بطيب مقامهم وبخلودهم الدائم.

ثم يأتي قوله (تعالى): ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[1]، ومَعَ دُخُولِ هَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ الْجَنَّةَ يحمدون الله أن صدقهم وعده، وأورثهم الأرض فاتخذوها مَقَرًّا ومُتَبَوَّأً، وأطلق تصرفهم فيها كما يشاءون... أليست هذه الجمل سواء بألفاظها أو معانيها هي التي يقدرها من ظنوا حذف الجواب، وهل من البلاغة أن نقدرها في الآية التي قبلها ثم تبدأ الآية التي بعدها بها، سيقولون: لا حذف إلا بدليل مقامي أو مقالي، وهذا هو الدليل، والرد على

(١) سورة الزمر، الآية: ٧٤.

ذلك، أننا نحتاج إلى التقدير إن كان المعنى يلحُّ في طلبه، ولا يستقيم إلا به، فإذا ما كان المعنى محبوكًا ومسبوكًا فإن التقدير حينئذٍ يقلق الكلمات ويرهل التراكيب ويوهنها، فالآيات الكريمات من أول قوله (تعالى): ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[1] إلى قوله (تعالى): ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[2] تَنْسَابُ كَلِمَاتُهَا وَجُمَلُهَا كَنَهْرٍ رِقْرَاقٍ، فلا حاجة لها إلى تقدير أو افتراض؛ لأنها لا حذف فيها ولا زيادة، فقد ساقها الله – عز وجل – لبيان كيفية استقبال أهل النار، وأهل الجنة، ومن المقابلة بين الاستقبالين تظهر المفارقة، ولما كان هذا هو غرضها فقد نصَّ الله – عز وجل – على تلك الكيفية بكلماته، فالجواب مذكور، والواو الواقعة في الجواب وهي مزيدة من وجهة نظر البصريين ليست مزيدة؛ بل هي متعددة الوظيفة والمعنى.

ثَانيًا: الشَّوَاهِدُ الشِّعْرِيَّةُ:

ثَمَّةَ أَبْيَاتٌ شِعْرِيَّة اسْتَشْهَدَ بِهَا الْكُوفِيُّونَ عَلَى مَجِيءِ جَوَابِ الشَّرْطِ مَسْبُوقًا بالْواوِ تَقْعِيدًا وتَعْضِيدًا لِمَنْهَجِهِمْ، وَاعْتَمَدَ عَلَيْهَا الْبَصْرِيُّونَ تَأْوِيلًا، وَهِيَ:

(١) سورة الزمر، الآية: ٧٠.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٧٤.

(١) قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ[١]:

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الحَيِّ وانْتَحَى بنا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ

وقد عوّل على هذا الشاهد كثيرٌ من النحاة والمفسرين والمعجميين، فاستشهد به الكوفيون ومن وافقهم على أن جواب لما هو: وانتحى، وانتهج الفراء والكوفيون المنهج الوصفي؛ لذا نراه يعلل هذا الضرب من جواب الشرط بأن العرب تدخل الواو في مثل هذه الأجوبة، "ومثله فِي الكلام: لَمَّا أتاني وأثِبَ عَلَيْهِ كأنه قَالَ: وثبتُ عَلَيْهِ، وربّما أدخلت العرب فِي جواب لَمَّا (لكن). فيقول الرجل: لَمَّا شتَمني لَكِنْ أثِبُ عَلَيْهِ، فكأنه استأنف الكلام استئنافًا، وتوهَّم أنّ ما قبله فِيهِ جوابه، وقد جاء الشعر في كل ذلك"[٢]، واستشهد ببيت امرئ القيس السابق.

وأوَّلَهُ البصريون ومن سار على دربهم فجعلوا الجواب: فلما أجزنا ساحة الحي أجزنا، ومنهم من قدره: أمِنّا[٣]، والحق أني لا أريد أن أخوض في الجدال والتأويلات بين الكوفيين والبصريين؛ لأن آراءهم أصبحت

---

(١)الشاهد لامْرِئِ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من الطويل، وهو في: ديوانه، ص: ٣٩، وينظر الشاهد في: الفراء: معاني القرآن، ، ٢/ ٥٠، ٢١١، وينظر: الطبري: جامع البيان: ١٥/ ٥٧٥، ١٨/ ٥٣٣، وابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، ص: ١٥٩، وكراع النمل: المنتخب، ص: ٦٩٤، والزَّوْزَني: شرح المعلقات السبع، ص: ٥٠، التبريزي: شرح القصائِد العشر، ص: ٢٦، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١/ ٣٨٥، ٤/ ٣٣٦، ٩/ ١٤٢، ١١/ ٣٤٢، ١٧/ ٢٩٣، والسمين الحلبي: الدر المصون: ١/ ٣٤٦، ٦/ ٤٥٣، والشوكاني: فتح القدير، ٣/ ٥٠٤.

(٢) ينظر: الفراء: معاني القرآن، ، ٢/ ٥٠.

(٣) ينظر: التبريزي: شرح القصائِد العشر، ص: ٢٧.

معروفة من خلال الطرح السابق، ولكني أود أن أقف على الشواهد بحيادية وموضوعية؛ لنبحث فيها عن المعنى المنشود، وننبه على المعنى المتكلف، ونرى أيها يتطابق مع سياق النص ومراد المبدع.

وأول ما يلفت النظر أن هذا البيت جاء في سياق قصٍّ وحَكْيٍ، يكتنفه عدد من الأبيات التي يحكي فيها امرؤ القيس عن مغامرته تلك في أسلوب قصصي، وإليكم مقطعًا من القصيدة:

وَبَيْضَـــةِ خِدْرٍ لاَ يُرامُ خِبَاؤُهَـا تَمَتّعْـتُ مِـنْ لَهْـوٍ بِهَـا غَيْـرَ مُعْجَـلِ

تَجَاوَزْتُ أَحْرَاسًا إِلَيهَـا وَمَعْشَـرًا عَلَـيَّ حِرَاصًـا لَـوْ يُسِـرُّونَ مَقْتَلِـي

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضَّتْ لِنَـوْمٍ ثِيَابَهَـا لَـدَى السِّتْـرِ إِلاَّ لِبْسَـةَ المُتَفَضِّـلِ

فَقَالَـتْ: يَمِينَ اللهِ، مَالَكَ حِيلَةٌ وَمَـا إِن أَرَى عَنْكَ الغَوَايَـةَ تَنْجَلِـي

خَرَجْتُ بِهَا أَمْشِي تَجُـرُّ وَرَاءَنَا عَلَى أَثَرَيْنَا ذَيْـلَ مِرْطٍ مُرَحَّـلِ[1]

إلى أن يصل إلى موضع الشاهد في القصيدة والذي دار حوله خلاف النحاة، وهو ما يزال يحكي مغامرته مع محبوبته، بغض النظر أكان ذلك القص تخيلا أم حقيقة، وهو قوله:

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الحَيِّ وَانْتَحَى بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ

وبعد هذا البيت تقابلنا روايتان للبيت الذي بعده، يتعين الجواب على أساسهما.

---

(١) امْرُؤُ القَيْس: ديوانه: ٣٥ – ٣٨، و التبريزي: شرح القصائِد العشر، ص: ٢٤ – ٢٦.

الأولى:

إِذَا قلتُ: هَاتِي نَوِّلِيني، تَمايَلَتْ عليَّ هَضِيم الكَشحِ، رَيَّا المُخَلخَلِ[1]

والمعنى أنه لما أخذها وخرجا من ساحة الحي وباحته، وجاوز ذلك المكان اعترضهم أثناء طريقهم بعد مجاوزتهم للحي بطن غامض من الأرض، وأماكن مرتفعة، ومن بينها أحقاف متثنية من الرمال المعقَّدَةِ بعضها فوق بعض، وبعد أن انتهى من وصف مغامرته في الهروب بها يبدأ كلامًا عمَّا دَارَ بَيْنَهُمَا مِنْ شُجُونِ الْغَزَلِ وفُتُونِهِ، وَاصِفًا جَمَالَهَا وَرِقَّةَ خَصْرِهَا وَعَبَالَةَ سَاقَيْهَا، وإذا قال لها نَوِّلِيني تَمايَلَتْ عَلَيْهِ بِيَدَيْهَا مُلْتَزِمَةً لَهُ مَهْضُومَةَ الْكَشْحِ دَقِيقَةَ الخصر عَبْلَةَ السَّاقِينِ.

وعلى هذه الرواية إما أن يكون الجواب: (وَانْتَحَى بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ)، وهو رأْي الفراء والكوفيين[2]، فيجوز أن تكون هذه الجملة جوابًا وذلك إن جعلنا هروبَ الشاعر بمحبوبته وما صادفهما من أهوال وصعاب وعراقيل في طريق اختفائهما وتواريهما عن الأعين والأنظار هو الغاية والهدف المنشود، ثم يستأنف جانبًا آخر بعد ذلك بقوله:

إِذَا قلتُ: هَاتِي نَوِّلِيني، تَمايَلَتْ عليَّ هَضِيم الكَشحِ، رَيَّا المُخَلخَلِ

---

(١) امْرُؤُ القَيْس: ديوانه، ص: ٤٠، و التبريزي: شرح القصائِد العشر، ص: ٢٧.

(٢) ينظر: الفراء: معاني القرآن، ، ٢/ ٥٠، ٢١١، وينظر: الطبري: جامع البيان: ١٥/ ٥٧٥، ١٨/ ٥٣٣، ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، ص: ١٥٩، و كراع النمل: المنتخب، ص: ٦٩٤، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١/ ٣٨٥، ٤/ ٣٣٦، ٩/ ١٤٢، ١١/ ٣٤٢، ١٧/ ٢٩٣، والسمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ١/ ٣٤٦، ٦/ ٤٥٣، والشوكاني: فتح القدير، ٣/ ٥٠٤، وامْرُؤُ القَيْس: ديوانه، ص: ٣٩، والزَّوْزَني: شرح المعلقات السبع، ص: ٥٠.

وإمَّا أَنْ يَكُونَ مَحْذُوفًا، وَهُوَ رَأْيُ البَصْرِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ أَنَّ جملة: (وَانْتَحَى بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ) حَكْيٌ واسْتِعْرَاضٌ لبَعْضَ عَنَاصِرِ مُغَامَرَتِهِ، والَّذِي يُقَوِّي ذَلِكَ أَنَّ تِلْكَ الْجُمْلَةِ مُكْتَنَفَةٌ بِقَصَصٍ قَبْلَهَا وَبَعْدَهَا؛ إذْ قَبْلَهَا قَصٌّ وحَكْيٌ من قِبَلِ الشَّاعِرِ عَمَّا لَاقَاهُ مِنْ أَهْوَالٍ وَحُرَّاسٍ... لِكَيْ يَصِلَ إِلَى مَحْبُوبَتِهِ إِلَى أَنْ اسْتَطَاعَ الخُرُوجَ بِهَا مِنَ الْحَيِّ، ثُمَّ يَأْتِي قوله: (وَانْتَحَى بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ) بيانًا لِذَلِكَ القَصَصِ وامْتِدَادًا لِكُلِّ مَا اعْتَرَاهُ من صِعَابٍ وأَهْوَالٍ وعَقَبَاتٍ كَأَدَاءَ وَسَطَ مُنْحَدَرَاتٍ ومُرْتَفَعَاتٍ ومُنْعَرَجَاتٍ فِي كُلِّ مَكَانٍ هَرَبُوا فِيهِ أَوْ سَارُوا إِلَيْهِ، أَوْ احْتَمَوْا بِقِفَافِهِ عَنْ أَعْيُنِ رَاصِدِيهِمْ.

وَبِنَاءً عَلَي مَا سَبَقَ فَإِنَّ الأَرْجَحَ عِنْدِي أَنْ يَكُونَ الجَوَابُ مَحْذُوفًا، وَتَكُونَ جُمْلَةُ (وَانْتَحَى بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ) تَكْمِلَةً لِبَعْضِ جَوَانِبِ الْقِصَّةِ، ويَكُونَ الْمَعْنَى: فَلَمَّا اجْتَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ، وَاعْتَرَضَتْنَا بُطُونٌ غَامِضَةٌ مِنَ الأَرْضِ، وَرِمَالٌ مُنْعَرِجَةٌ مُتَرَاكِبَةٌ مُنْعَقِدَةٌ مُتَلَبِّدَةٌ، وَحُقُوفٌ غَلِيظَةٌ مُعْوَجَّةٌ وَمُرْتَفِعَةٌ وَمُتَثَنِّيَةٌ؛ أَيْ لَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَتَغَلَّبْنَا عَلَى كُلِّ هَذَا: "أَمِنَّا"(١)، أو: "فلَمَّا كَانَ كَذَا وكَذَا تَنَعَّمْتُ وتَمَتَّعْتُ بَهَا، أَوْ: طَابَ حَالُنَا وَرَاقَ عَيْشُنَا"(٢)، أَوْ: "خَلَوْنَا ونَعِمْنَا"(٣).

---

(١) ينظر: التبريزي: شرح القصائِد العشر، ص: ٢٧، والشيباني: شرح المعلقات التسع، ولا تصح نسبته ففي الكتاب نقول متأخرة عن زمن أبي عمرو وليس الأسلوب أسلوبه، ص: ١٤٣، ١٤٤.

(٢) ينظر: الزَّوْزَني: شرح المعلقات السبع، ص: ٥١، امْرُؤُ القَيْس: ديوانه، ص: ٣٩.

(٣) أبو البركات الأنباري: الإنصاف: ٢/ ٣٧٧.

وَالَّذِي حَدَا بِي أَنْ أُرَجِّحَ حَذْفَ الْجَوَابِ أَنَّ جُمْلَةَ (وَانْتَحَى بِنَا...) أَقْرَبُ مَا تَكُونُ إِلَى تَكْمِيلِ أَحَدِ جَوَانِبِ الْقِصَّةِ مِنْ كَوْنِهَا جَوَابًا، وَتُصْبحُ اعْتِرَاضًا، وَلَا جَوَابَ مَذْكُورٌ فِي النَّصِّ حِينَئِذٍ، وَمِنْ ثَمَّ فَلا بَأْسَ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَحْذُوفًا، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ نُكُوصٌ عَلَى رَأْيِنَا أَوْ تَبَرُّؤٌ مِنْهُ، لأَنَّنَا رَجَّحْنَا ذَلِكَ بِمَوْضُوعِيَّةٍ بِنَاءً عَلَى مَا بَيْنَ يَدَي النَّصِّ مِنْ شَوَاهِدَ وسِيَاقَاتٍ تَقْتَضِي ذَلِكَ الْمَعْنَى وَتُحَبِّذُهُ وَتُشِيرُ إِلَيْهِ.

أَمَّا الرِّوَايَةَ الثَّانِيَةَ فَهِيَ:

فَلَمَّا أجَزْنَا سَاحَةَ الحَيِّ وَانْتَحَى بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ

هَصَرْتُ بِفَوْدَيْ رَأسِهَا فتَمايَلَتْ عَلَيَّ هَضِيمَ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ(١)

وَيَكُونُ جَوابُ فَلَمَّا أَجَزْنَا قَوْلَهُ: (هَصَرْتُ بِفَوْدَيْ رَأْسِهَا فتَمايَلَتْ عَلَيَّ...)(٢)، وَيَكُونُ وَانْتَحَى اعْتِرَاضًا(٣)، وأَرَى أَنَّ (وَانْتَحَى) إِضَافَةٌ جَيِّدَةٌ إِلَى سَرْدِ أَحْدَاثِ الْقِصَّةِ، وَوَصْفٌ ضَافٍ لِلْمَكَانِ الَّذِي طَابَ لَهُمْ اللِّقَاءُ بِهِ، وَيُعَدُّ "هَصَرْتُ...إِلَخْ اْسْتِكْمَالًا لِبَعْضِ جَوَانِبِ الْقَصَصِ، وإِظْهَارًا لِإِحْدَى زَوَايَا الْحِكَايةِ، والْحَقُّ أَنِّي أُرَجِّحُ هَذِهِ الرِّوَايَةَ لِوُضُوحِ الجَوَابِ مِنْ غَيْرِ تَقْدِيرٍ أَوْ افْتِرَاضٍ مَعَ تَمَامِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ.

---

(١) امْرُؤُ القَيْس: ديوانه، ص: ٤٠، والتبريزي: شرح القصائِد العشر، ص: ٢٧.

(٢) ينظر: امْرُؤُ القَيْس: ديوانه، ص: ٣٩، ٤٠، الزَّوْزَني: شرح المعلقات السبع، ص: ٥٠، ٥١.

(٣) الشنقيطي: شرح المعلقات العشر، ص: ٦٢، ٦٣.

(٢) وَقَوْلُ الأَسْوَدِ بْنِ يَعْفُرَ النَّهْشَلِي[١]:

وقد عوّلَ عليهما الفراء والكوفيون[٢] في مجيء الجواب مع الواو:

حَتّى إِذا قَمِلَتْ بُطونُكُمْ ورأيتُـمُ أبناءَكُـمْ شَبُّـوا

وقَلَبْتُـمَ ظَهْـرَ المِجَـنِّ لنا إنَّ اللَّئيمَ العاجِـزُ الخِبُّ

وقد علل الفراء وقوع الواو في جواب (حتى إذا) في هذين البيتين بأن العرب إذا تطاولت الصفة جعلوا الكلام فِي الناقص وفي التام كالواحد، يقصد طول الكلام بسبب العطف، ولهذا جاء جواب (حَتَّى إذا) بالواو، وكان ينبغي ألا يكون فِيهِ واوٌ[٣].

أما البصريون فيرون أنه ليست للفراء والكوفيين في هذا حجة كما يقول السيرافي؛ "لأنه موافق للبصريين في حذف الجواب في المواضع التي ذكرناها، وذُكر في كتاب (المعاني)، أن الحذف كثير في القرآن وكلام العرب، وإذا كان كذلك جاز أن يكون ما فيه الواو، وقد انحذف جوابه، كأنه قال: وقلبتم ظهر المجن لنا بَانَ غَدْرُكُمْ ولُؤْمُكُمْ، أو نحو ذلك"[٤]، وحرص أبو البركات الأنباري على أن ينص على أن "الواو فيه عاطفة، وليست زائدة، والتقدير فيه: حتى إذا قملت بطونكم، ورأيتم أبناءكم شبوا، وقلبتم ظهر

---

(١) سبق تخريجه ص: ١٤.

(٢) ينظر: الفراء: معاني القرآن: ١/ ١٠٧، ١٠٨، ٢٨٣، ٢/ ٥١، ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، ص: ١٥٩، والمبرد: المقتضب: ٢/ ٨١، والطبري: جامع البيان: ٧/ ٢٩٣.

(٣) ينظر: الفراء: معاني القرآن: ١/ ١٠٧، ١٠٨.

(٤) ينظر السيرافي: شرح كتاب سيبويه: ٣/ ٣١١.

المجن لنا بَانَ غَدْرُكُمْ ولُؤْمُكُمْ، وإنما حذف الجواب في هذه المواضع للعلم به؛ توخّيًا للإيجاز والاختصار"(١)، أو "حَتَّى إِذا فَعلْتُمْ هَذِه الْأَشْيَاء عرف غدركم وفجوركم ولؤمكم"(٢)، أو "عرف غدركم وقلبتم ظهر الْمِجَن وَحذف الْجَواب كثير"(٣).

وهذان البيتان من شعر يهجو فيه بني نجيح، من بني عبد الله بن مجاشع بن دارم يقول في هجائهم:

أبَنِي نَجِيحٍ، إنَّ أُمَّكُمُ ... أمَةٌ، وإنَّ أبَاكُمُ وَقْبُ

أكَلَتْ خَبِيثَ الزَّادِ فَاتَّخَمَتْ ... عَنْهُ، وَشَمَّ خِمَارَهَا الكَلْبُ

إلى أن يصل إلى بيتي الشاهد، ومجمل معناهما: أنه لما كَثُرَت بطوُنُ قبائلكم، ورأيتم أبناءكم شبُّوا، قَلَبْتُمْ ظهْرَ المِجَنِّ (الترس) الذي نستتر به من ضربات الأعداء، وهذا مثل يضرب لمن كان لصاحبه عليه مودة ورعاية، ثم تنكر لصنيعه، وحاد عن ذلك فعاداه. وهذا العمل من فعل اللئيم الفاجر أو العاجز الخِبِّ؛ أي الخدَّاع الخبيث المنكر، إذن موضع الشاهد كناية عن التَّنَكُّر للجميل وكُفْرانِ الفضل والنعمة، وبتمحيص معاني الأبيات والوقوف على مراد الشاعر يمكننا أن نَسْتَشِفَّ أن الواوَ تدل على المصاحبة والمعية بجانب دلالتها على التناسق والعطف، إذ المعنى أنهم بمجرد أن كَبُرَ شبابُهُمْ وشَبُّوا عن الطَّوْقِ تلازم معه تَنَكُّرُهُمْ لكل صنيع طيب، وبَدتْ منهم البغضاءُ وأفعالُ اللئامِ الفَجَرَةِ العَجَزَةِ.

---

(١) أبو البركات الأنباري: الإنصاف: ٢/ ٣٧٧.

(٢)العكبري: اللباب: ١/ ٤٢٠

(٣) صلاح الدين العلائي: الفصول المفيدة في الواو المزيدة، ص: ١٤٧.

وثَمَّةَ تَساؤُلٌ عَنْ قَوْلِ أَبِي الْبَرَكَاتِ الأَنْبَارِيّ: "إِنَّمَا حُذِفَ الجَوَابُ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ لِلْعِلْمِ بِهِ؛ تَوَخِّيًا لِلْإِيْجَازِ والْاخْتِصارِ"، وهَلْ فِي مَذْهَبِ الكُوفِيّينِ – الَّذِي يَرْتَئِي كَوْنَ الجَوَابِ مِنَ النَّصّ دُونَ تَقْدِيرٍ أَوْ افْتِرَاضٍ – إِطْنَابٌ؟، أَمْ أَنَّ تَقْدِيرَ البَصْرِيّينَ – الَّذِي هُوَ بِمَثَابَةِ شَرْحِ الْكِنَايَةِ وَبَيَانِ مَغْزَاهَا– هُوَ الإِطْنَابُ عَيْنُهُ؛ لِأَنَّ الَّذِي افْتَرَضُوا وُجُودَهُ مَوْجُودٌ بِالْفِعْلِ فِي النَّصّ بِلُغَةٍ أَبْلَغَ وأَهْذَبَ وأَكْثَرَ غِنًى وإِشْعَاعًا بِالْمَعَانِي مِمَّا افْتَرَضُوهُ وَقَلَّصُوا دَلَالَتَهُ، وكَثَّرُوا مَبَانِيَهُ، وقَزَّمُوا مَعَانِيَهُ.

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: تَعَدُّدُ دِلالَةِ الواوِ واسْتِعْمالاتُها:

لم يتحدث النحاة عن تعدد دلالة الواو واستعمالاتها إلا في شَذَرَاتٍ قليلة، وذلك مثل ما استنبطه ابن يعيش لمعاني واو المفعول معه والقسم والحال؛ فهي جميعًا "تدلّ على الجمع المطلق، إلَّا أن دلالتها على الجمع أعمُّ من دلالتها على العطف، والذي يدلّ على ذلك أنّا لا نجدها تعرى من معنى الجمع، وقد تعرى من معنى العطف، ألا ترى أن واو المفعول معه في قولك: استوى الماءُ والخشبةَ، وجاء البَرْدُ والطَّيالسةَ قد نجدها تفيد معنى الجمع؛ لأنها نائبةٌ عن (مَعَ) الموضوعة لمعنى الاجتماع، فكذلك واو القسم ليست عارية من معنى الجمع؛ لأنها نائبةٌ عن الباء. ومعنى الباء الإلصاق، والشيءُ إذا لاصق الشيءَ، فقد جاء معه، وكذلك واو الحال في قولك: جاء زيدٌ وَيدُه على رأسه... غيرُ عارية من معنى الجمع. ألا ترى أن الحال مصاحبةٌ لذي الحال؟ فقد أفادت معنى الاجتماع"(١).

وقد نص عباس حسن على أن واو المعية: "دالة على اجتماع المعنيين واصطحابهما معا وقت تحققهما –سميت لذلك: "واو المعية" أي: "الواو" التي بمعنى: "مع"؛ فهي تدل على الجمع والمصاحبة بين أمرين في وقت واحد"(٢).

وتدل واو المعية الواقعة قبل الفعل المضارع المنصوب بأن المضمرة وجوبًا على الجمع والمعية نحو: "لا تأكل السمكَ وتشربَ اللبن، هذا مثال مشهور، وتشربَ بالنصب والعامل فيه أنْ مضمرة وجوبًا بعد واو المعية، إذًا

(١) ابن يعيش شرح المفصل: ٥/ ٦، ٧.

(٢) عباس حسن: النحو الوافي: ٤/ ٣٧٥.

هذه الواو تدل على الجمع، وإذا نظرت إلى المعنى في المثال: لا تأكل السمك مع شربك اللبن، فالنهيُ هنا مسلط على الجمع بينهما، لا تجمع بين أكل السمك وشرب اللبن"(١).

ونقل صلاح الدين الدمشقي العلائي عن عبد القاهر الجرجاني كلامًا مهمًّا في تعدد دلالة واو الحال تحت عنوان: "فصل ملخص من كَلَام عبد القاهر فِي سر الرَّبْط بِالْوَاو" فيرى عبد القاهر تعدد دلالة الواو في: "جَاءَنِي زيد وَغُلَامه يسْعَى بَين يَدَيْهِ وَرَأَيْت زيدًا وسيفُه على كتفه" فالْمَعْنى أَنَّك أَثْبَتَّ الْمَجِيءَ والرُّؤْيَةَ ثمَّ استأنفت خَبرا، وابتدأت إِثْبَاتًا لسعي الْغُلَام بَين يَدَيْهِ وَلكَون السَّيْف على عَاتِقه فَلَمَّا كَانَ الْمَعْنى أَنَّك استأنفت خَبرا آخر احتجت إِلَى مَا يرْبط الْجُمْلَة الثَّانِيَة بِالْأولَى فجيء بِالْوَاو كَمَا جِيءَ بهَا فِي قَوْلك زيد منطلق وَعَمْرو ذَاهِب وتسميتها وَاو الْحَال لَا تخرجها عَن أَن تكون مجتلبة لضم جملَة إِلَى جملَة"(٢),

ونظيرها الْفَاء فِي جَوَاب الشَّرْط فَإِنَّهَا وَإِن لم تكن عاطفة بِمَعْنى أَنَّهَا تدخل مَا بعْدهَا فِي حكم الشَّرْط الْمُعَلق عَلَيْهِ بالْخبر لَا يُخرجهَا أَن تكون بِمَنْزِلَة العاطفة بِمَعْنى أَنَّهَا جَاءَت لتربط جملَة لَيْسَ من شَأْنهَا أَن ترتبط بِنَفسِهَا وكما أَن الْمُضَارع إِذا وَقع جَوَابا للشّرط لم يحْتَج إِلَى الْفَاء فِي الْجَزَاء فَكَذَلِك لَا يحْتَاج إِلَى الْوَاو فِي الْحَال قِيَاسا سويًا"(٣).

(١) الحازمي: فتح رب البرية في شرح نظم الأجرومية، ص: ٦١٩.
(٢)العلائي: الفصول المفيدة، ص: ١٧٤، ١٧٥.
(٣) السابق: ١٧٥.

وهو ما أكده الشيخ خالد الأزهري حيث يرى أن واو الحال "إنما جعلت رابطة؛ لأنها تدل على الجمع، والغرض اجتماع جملة الحال مع عامل صاحبها"(١).

وإذا كان ذلك كذلك يسقط استناد البصريين وتعللهم بأن الواو حرف وضع لمعنى العطف؛ ومن ثم يحق لنا النظر في دلالة الواو في الشواهد السابقة ومحاولة استنباط تلك الدلالات، فالجواب الذي ارتضيناه في قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾(٢)

هو ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، وهو رأي الفراء والكوفيين؛ والمعنى: فلما ذهبوا به وأجمعوا أمرهم أوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا الذي كَادُوهُ لك، وهم لا يشعرون. وأدت الواو هنا معنى معية الله له؛ أي بمجرد كيدهم هذا أوحينا إليه – أيًّا كانت كيفية الوحي – ولم يقل لا تخف سسننجيك...وإنما أَكَّدَ ليوسف أنه سينبئهم بهذا الكيد، وفي هذا دليل على نجاته وطَمْأَنَة له على حياته؛ لأنه سيلتقي بهم فيما بعد، ومن ثم ففي هذا الجواب غنى عن كل الأجوبة التي تعد استنباطًا لسياق الحكاية، وكذلك عمن قدر الجواب: "عرفناه وأوصلنا إليه الطمأنينة"، ففي قوله: "وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ" تَيْسِيرٌ لَهُ، وَتَأْنِيسٌ لِوَحْشَتِهِ، وفي قوله (تعالى): "لَتُنَبِّئَنَّهُمْ" تَقْوِيَةُ قَلْبِهِ بِأَنَّهُ سَيَحْصُلُ لَهُ الْخَلَاصُ عَنْ هَذِهِ الْمِحْنَةِ وَيَصِيرُ مُسْتَوْلِيًا عَلَيْهِمْ وَيَصِيرُونَ

(١) الشيخ خالد الأزهري: شرح التصريح على التوضيح: ١/ ٦١٠.

(٢) سورة يوسف، الآيتان: ١٤، ١٥.

تَحْتَ قَهْرِهِ وَقُدْرَتِهِ[١]. وقد جاء الجواب في كَنَفِ جُمَلٍ مَحْكِيّةٍ تَرْوِي قِصَّةً مَبْدُوءةً بِوِاوٍ تَرْبِطُ أَوَاصِرَ كل جملة بسابقتها وتضيف للجواب معنى المعية والمصاحبة، فجعلت البون أطولَ بين الفعل وجوابه فيحسن وقوع الواو في الجواب.

والجواب في قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ**﴾[٢] هو ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ التي قال عنها الفخرُ الرازيّ "و أَمَّا قَوْلُهُ: فَإِذا هِيَ فَاعْلَمْ أَنَّ (إِذَا) هَاهُنَا لِلْمُفَاجَأَةِ ... وَهِيَ تَقَعُ فِي الْمُجَازَاةِ سَادَّةً مَسَدَّ الْفَاءِ كَقَوْلِهِ (تعالى): ﴿إِذا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[٣] فَإِذَا جَاءَتِ الْفَاءُ مَعَهَا تَعَاوَنَتَا عَلَى وَصْلِ الْجَزَاءِ بِالشَّرْطِ فَيَتَأَكَّدُ وَلَوْ قيل: فَإِذا هِيَ شاخِصَةٌ أَوْ فَهِيَ شَاخِصَةٌ كَانَ سَدِيدًا"[٤]. وهذا الكلام حَسَنٌ، لكني لا أقبله كله، ولا أرفضه كله، فأقول: حَقًّا كان الكلام سديدًا من جهة النحو وفي غير هذا السياق؛ لأنه لن يؤدي المعنى الذي أراده الله – عز وجل –؛ فالله أراد السببية والمفاجأة معًا، ومن ثم لا أستطيع أن أتفق معه على أن (إذا) الفجائية تسد مسد الفاء الجزائية؛ إذ لا تغني إحداهما عن الأخرى، وإن تظاهرا معا – كما هو في

(١) ينظر: الشوكاني: فتح القدير: ٣/ ١٣.

(٢)سورة الأنبياء، الآيتان: ٩٦، ٩٧.

(٣) سورة الروم، جزء الآية: ٣٦.

(٤)الرازي: تفسير الفخر الرازي: ٢٢/ ١٨٦، والبيضاوي: أنوار التنزيل: ٤/ ٦٠، و النسفي: تفسير النسفي: ٢/ ٤٢٠.

الآية – أديا معنيين مقصودين (السببية والمفاجأة) وظني أن هذا مراد الله – عز وجل – وهو أعلم بمراده.

فجملة ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من وجهة نظري أرجح الأجوبة وأقواها؛ لأن المعنى إذا فُتِحَ سَدُّ يأجوج ومأجوج وهُرعُوا وأَسْرَعُوا من كل حدب وأكمة، واقترب الوعد الحق؛ أي يوم القيامة، وتكون جملة واقترب... معطوفة على فعل الشرط – مع جواز كونها جزاء – ثم يأتي الجواب المقترن بالفاء الرابطة مع دلالتها على السببية والمدعومة بإذا الفجائية؛ أي حتى إذا انهار سد يأجوج ومأجوج...تسبب هذا الموقف المهول بكل ما فيه من مشاهد الخوف والفزع بِفَجَعِ الذين كفروا فجأة مما نتج عنه شُخُوصُ أَبْصَارِهِمْ، فانفتحت واتسعتْ حَدَقَاتُهَا، فلا تَكَادُ تَطْرِفُ من شدة الهَوْلِ والتَّحَيُّرِ، وقالوا: يا ويلنا لقد كنا في غفلة من هذا إنا كنا ظالمين.

ارتضينا مع الفراء أن يكون جواب (لمَّا) في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَن يا إبراهيم قَدْ صَدَّقْتَ الرؤيآ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾[1] هو قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ وتتبع دلالة هذه الواو من وقوعها في سياق حَكْيٍ فيما يعد قصة أو ما يشبه القصة، ففي آيات الصافات التي تخبرنا بقصة ذبح إبراهيم لابنه إسماعيل، وتطل علينا أحداثها بالرؤيا التي رآها إبراهيم في المنام من أنه يذبح ابنه ثم إخباره بها، واستجابة الابن وتسليمه نفسه لأبيه يفعل بها ما يشاء، ثم يخطو المشهد خطوة أخرى وراء الحوار والكلام؛ لتأتي لحظة التنفيذ الحقيقي للرؤيا التي يجسدها الحق – سبحانه وتعالى – في ثلاث جمل في سياق حكي

(١) سورة الصافات، الآيات: ١٠٣ – ١٠٥.

وإخبار ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ متناسقة فيما بينها بواو عاطفة تشد عرى كل جملة بسابقتها، التي وحَّدَتْ اللحظة الزمنية بين جملة "تله للجبين" و"ناديناه"، ولولا هذه الواو لما انبثق هذا التزامن وتلك المعية التي ضفّرت الجملتين معًا، فأوثقت عراهما، وسلسلت وشائجهما؛ بربطهما في زمن واحد، زمن "التل" مع زمن "مناداة الله".

وأشار الشعراوي إلى هذا التزامن بقوله: "وجاءت الواو هنا؛ لتفيد أن نداء الله لسيدنا إبراهيم جاء مصاحبًا لإلقاء ابنه إسماعيل على وجهه؛ ليذبحه"(١). فأفادت الواو تزامن (مصاحبة) نداء الله – عز وجل – مع طرح إبراهيم ولده أرضًا، فبمجرد تأهب إبراهيم – عليه السلام – لأن يسحب شفرة السكين على عنق ابنه يأتيه النداء من الله – عز وجل – بأنه قد صدَّقَ الرؤيا، ولولا هذا التزامن لقطع إبراهيم عنق ابنه.

والجواب في قوله (تعالى): ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**﴾(٢) إما أن يكون ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾، وإما ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ فإن جعلنا الجواب: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ كَانَتْ جُمْلَةُ ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ "فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الحَالِ"(٣)؛ "وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ تَكُونُ الْوَاوُ وَاوَ

(١) الشعراوي: تفسير الشعراوي – الخواطر: ٣/ ١٨٦٣ .

(٢) سورة الزمر، الآية: ٧٣.

(٣) السمين الحلبي: الدر المصون: ٩/ ٤٤٧، وأبو حفص النعماني: اللباب: ١٦/ ٥٥٤.

الْحَالِ بِتَقْدِيرِ قَدْ، أَيْ: جَاءُوهَا وَقَدْ فُتِحَتْ لَهُمُ الْأَبْوَابُ"(١)، أو: "جَاءُوهَا حَالَ فَتْحِ أَبْوَابِهَا إِكْرَامًا لَهُمْ عَنْ أَنْ يَقِفُوا حَتَّى تُفْتَحَ"(٢). أو: "جَاءُوهَا وَهِيَ مُفَتَّحَةُ الْأَبْوَابِ أَوْ هَذِهِ حَالُهَا"(٣)، ثُمَّ عَطَفَ المَوْلَى – عَزَّ وَجَلَّ – عَلَى الجُمْلَةِ الحَالِيَّةِ ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ جُمْلَةَ ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ وَمِنَ المُؤكَّدِ أَنَّهَا قِيلَتْ مِنَ الخَزَنَةِ والحَالُ لا يزال عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ؛ أَيْ وَهُمْ وَاقِفُونَ عَلَى أَبْوَابِ الجَنَّةِ حَالَ فَتْحِهَا؛ لِيَسْتَقْبِلُوا وُفُودَ المؤمنين بالبِشْرِ والتِّرْحَابِ، وبناء على كل ما سبق فإن الواو أفادت العطف وبَثَّتْ في الجملة المعطوفة دلالة الحال، وتكون الواو في قوله (تعالى): ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ مثلثة الوظيفة والدلالة، فأفادت العطف، وبينت الحال التي قيلت فيها الجملة، وربطت تلك الجملة بالتي قبلها فشدتهما معًا في خيط الحالية. وإن جعلنا جملة ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ هي جواب الشرط فظني أنها تبقى محتفظة بدلالتها على الحال؛ لأنَّ الإعراب لا يسلب الجمل دلالتها، وإنما هو وسيلة لفهمها، ومن ثَمَّ تدلُّ الواو على الحال، وتكون الجملة جوابًا "فزِيَادَةَ الْوَاوِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَبْوَابَ فُتِحَتْ لَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَأْتُوا لِكَرَامَتِهِمْ عَلَى اللَّهِ، وَالتَّقْدِيرُ: حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَأَبْوَابُهَا مُفَتَّحَةٌ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ (تَعَالَى): ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾(٤)، وَحُذِفَتِ الْوَاوُ فِي قِصَّةِ أَهْلِ النَّارِ، لِأَنَّهُمْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ وَفُتِحَتْ بَعْدَ وُقُوفِهِمْ إِذْلَالًا وَتَرْوِيعًا"(٥)، "فتُرِكَتِ الْوَاوُ فِي النَّارِ لِأَنَّهَا مُغْلَقَةٌ وَكَانَ مَجِيئُهُمْ شَرْطًا فِي

(١)الشوكاني: فتح القدير: ٤/ ٥٤٨.
(٢) الصبان: حاشية الصبان: ٣/ ١٤٠.
(٣)الزركشي: البرهان: ٣/ ١٨٩.
(٤) سورة ص، الآية: ٥٠.
(٥) الشوكاني: فتح القدير: ٤/ ٥٤٨.

فَتْحِهَا"[1]، "بخلافِ أبوابِ السرورِ والفرحِ فإنَّها تُفْتَحُ انتظارًا لمَنْ يَدْخُلُها"[2]. وهذا هو منطق اللغة وفلسفتها، وفيه ردٌّ على مَنْ قالَ إنَّ الواوَ التي جاءتْ مع الجنَّةِ هي واو الثمانية كما ذهب أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ خَالَوَيْهِ ، ورَفَضَهُ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ فِي مَجْلِسِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ[3]؛ بل هي واوُ الحالِ ولا مَجَالَ لقولٍ بَعْدَ هذا أو افْتِراضٍ يَعْتَمِدُ على مُجَرّدِ مُشابَهَاتٍ شَكْلِيَّةٍ مَبْتُورَةٍ، ولا يُعَوّلُ على المعْنى والهَدَفِ والْقَصْدِ.

وأفادت الواو في بيتي الأسود بن يعفر المصاحبةَ والمعيةَ مع الاحتفاظ بدلالتها على النَّسَقِ؛ لأن المعنى أنهم بمجرد أن شَبَّ أبْناؤهُم عن الطَّوْقِ تلازم معه نُكْرانٌ لكل جميل. وقد تقتصر دلالة الواو على مجرد ربط عناصر القصة أو الحكي كما هو الحال في أبيات امرئ القيس.

(١) الزركشي: البرهان: ٣/ ١٨٩.

(٢) ينظر: أبو حفص النعماني: اللباب: ١٦/ ٥٥٤.

(٣) ينظر: الزركشي: البرهان: ٣/ ١٨٩.

خاتمة بأهم النتائج:

١. رصد البحث توجيهات النحاة للواو الواقعة في جواب الشرط، وما أثبتوه لها من دلالات فوق العطف، كالمعية والحالية والتوكيد.

٢. وبناء على النتيجة السابقة فقد رفضت علة البصريين بعدم جواز زيادة الواو؛ لأنها موضوعة لمعنى العطف، حين أثبت أنها تحمل أكثر من معنى بحسب السياق وجودة النظم الواردة فيه.

٣. واتفقت مع من ذهب إلى أن طول الكلام من أسباب وقوع الواو في جواب الشرط.

٤. كان الكوفيون أقرب إلى اللسانيات الحديثة حين وصفوا لغة العرب كما هي، ومن ثَمّ أصَّلوا وقوع الواو زائدة في جواب"لما"، و "حتى إذا"، وهم بهذا الصنيع رَفَعُوا عنّا مُؤْنَةَ الخوضِ في دَوائِرِ الافتراض والتأويل والتشذيذ والتندير، لكنهم لم يقدروا على استنباط المعاني الكامنة في الواوات المقحمة، ولم يقفوا على مغازيها.

٥. أثبت البحث أن جواب الشرط يتكافأ مع الخبر في إفادة المعنى، وجعل هذه القاعدة نِبْرَاسًا ومُؤَشِّرًا للاهتداء إلى الجواب.

٦. فرَّقَ الباحث بين استنباط التفسيرات التي تشي بها الجمل المحكية في الشرط، وبين الجواب الحقيقي الذي يعطينا فائدة يحسن السكوت عليها.

٧. كما فرَّق بين الحذف في صناعة النحو والتخيل الذي تذهب فيه القرائح كل مذهب.

٨. وأصّل لقاعدة: " لا تقدير إلا إذا أفاد معنى"؛ ومن هنا نجنب التراكيب الترهل والضعف.

٩. أَكَّدَتْ الشواهد أن الربط بـ: "إذا والفاء" معًا مطلبٌ معنوي يمليه السياق، ولا يغني أحدهما عن الآخر.

١٠. نبَّه البحث على ضرورة تقدير المحذوف بعد استكمال كل الجمل المحكية التي تتعاضد على تصاعد الأحداث مع "لمَّا"، و "حتَّى إذا"؛ لأن "حَتَّى يُحْكَى بعدها الكلام...، والمحكىّ هو: الجملة من الشرط والجزاء، أعنى: «إذا» وما في حيزها"(١).

(١) ينظر: الزمخشري = الكشاف: ٣/ ١٣٥، والرازي: مفاتيح الغيب: ٢٢/ ١٨٥، وابن الحاجب: أمالي ابن الحاجب: ١/ ١٤٧، والبيضاوي: أنوار التنزيل: ٤/ ٦٠، والنسفي: مدارك التنزيل: ٢/ ٣٤٩، ٤٢٠، وأبو السعود: إرشاد العقل السليم: ٦/ ٨٥.

ثبت المصادر والمراجع:

١. **أبو حيّان، محمد بن يوسف:** البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، ط١، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٢. **أبو السعود، العمادي محمد:** تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي – بيروت (د.ت).

٣. **الأخفش، أبو الحسن المجاشعي:** معانى القرآن، تح: د. هدى محمود قراعة،ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠م.

٤. **الأَخْطَل، غيَّاث بن غَوْث:** ديوان الأخطل، تحقيق أنطون صالحاني – بيروت، ١٨٩١م.

٥. **الأزهري، خالد:** شرح التصريح، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، ط١، ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠مز

٦. **الأنباري، عبد الرحمن بن محمد:** الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين،: المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤ – ٢٠٠٣م.

٧. **بشر، كمال:** دراسات في علم اللغة. دار المعارف، القاهرة، ط٢: ١٩٧١م.

٨. **ابن أيوب، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل:** الكناش في فني النحو والصرف، دراسة وتحقيق: الدكتور: رياض بن حسن الخوام، (د.ط)، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ٢٠٠٠م.

٩. **ابن برهان، أبو القاسم عبد الواحد:** شرح اللمع، تح د. فائز فارس، ط١، الكويت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٠. **ابن جني، أبو الفتح عثمان:** الخصائص، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ت).

١١. **ابن الحاجب، عثمان بن عمر:** أمالي ابن الحاجب، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، (د.ط)، دار عمار - الأردن، دار الجيل - بيروت، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.

١٢. **ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل:** المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٣. **ابن عطية، أبو محمد عبد الحق:** المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٢ هـ.

١٤. **ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم:** تأويل مشكل القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان (د.ت).

١٥. **ابن مالك، أبو محمد عبد الحق:** شرح تسهيل الفوائد، تح: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، ط١، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٦. **ابن منظور، محمد بن مكرم بن على:** لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط٣ - ١٤١٤ هـ.

١٧. **ابن هشام، عبد الله بن يوسف:** مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، ط٦، دار الفكر - دمشق، ١٩٨٥م.

١٨. **ابن يعيش، يعيش بن علي:** شرح المفصل، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، ط١ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

١٩. **البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد:** أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي – بيروت، – ١٤١٨هـ.

٢٠. **بيرو، جان:** اللسانيات، ترجمة: **الحواس** مسعودي، ومفتاح بن عروس، ط١، دار الآفاق، بدون ذكر بلد النشر، ٢٠٠١م.

٢١. **التبريزي، يحيى بن علي:** شرح القصائِد العشر،(د.ط)، الناشر: عنيت بتصحيحها وضبطها والتعليق عليها للمرة الثانية: إدارة الطباعة المنيرية، عام النشر: ١٣٥٢ هـ.

٢٢. **الجرجاني، عبد القاهر:** دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: د. عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ م.

٢٣. **الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد:** الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين – بيروت، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

٢٤. **الحازمي، أحمد بن عمر بن مساعد:** فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية (نظم الآجرومية لمحمد بن أبَّ القلاوي الشنقيطي)، ط١، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠م.

٢٥. **حسن، عباس:** النحو الوافي، عباس حسن: النحو الوافي، دار المعارف، ط١٥ دار المعارف، ط١٥، (د.ت).

٢٦. **الرازي**، فخر الدين: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الرازي، ط٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٢٧. **الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق:** تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية (د.ت).

٢٨. **الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل:** معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب – بيروت، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

٢٩. **الزركشي، محمد بن عبد الله:** البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧م.

٣٠. **الزمخشري، محمود بن عمرو:** الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٧ هـ.

٣١. **الزَّوْزَني**، حسين بن أحمد: شرح المعلقات السبع، ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢ م.

٣٢. **السرقسطي (ابن الحداد)**، سعيد بن محمد المعافري: الأفعال، تح: حسين محمد محمد شرف، مراجعة: محمد مهدي علام، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة – جمهورية مصر العربية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م.

٣٣. **السمين الحلبي، أحمد بن يوسف:** الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق (د.ت).

٣٤. **سيبويه، عمرو بن عثمان:** الكتاب، تح: عبد السلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨ – ١٩٨٨م

٣٥. **السيرافي، الحسن بن عبدالله:** شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٨م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر:

٣٦. الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٣٧. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد الحميد هنداوي، (د.ط)، المكتبة التوفيقية – مصر (د.ت)، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية – مصر (د.ت).

٣٨. **الشدياق، أحمد بن فارس:** الجاسوس على القاموس، (د.ط) مطبعة الجوائب – قسطنطينية، ١٢٩٩ هـ.

٣٩. **الشعراوي، محمد متولي:** تفسير الشعراوي = الخواطر، (د.ط) مطابع أخبار اليوم (د.ت).

٤٠. **الشنقيطي، أحمد بن الأمين:** شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، (د.ط) دار القلم، بيروت، (د.ت).

٤١. **الشوكاني، محمد بن علي:** فتح القدير، ط١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب– دمشق، بيروت، ١٤١٤هـ

٤٢. **الشيباني، أبو عمرو:** شرح المعلقات التسع، تح: عبد المجيد همو، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ م.

٤٣. **الصبان، محمد بن علي:** حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، ط١، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ١٤١٧ هـ –١٩٩٧م

٤٤. **الصُحاري، سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري:** الإبانة في اللغة العربية، تح: د. عبد الكريم خليفة – د. نصرت عبد الرحمن – د.صلاح جرار – د. محمد حسن عواد – د. جاسر أبو صفية، ط١، الناشر: وزارة التراث القومي والثقافة – مسقط – سلطنة عمان، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

٤٥. **الطبري، أبو جعفر:** جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٤٦. **العامري، لبيد:** ديوان لبيد ، اعتنى به: حمدو طمّاس، ط١، دار المعرفة، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م.

العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين:

٤٧. التبيان في إعراب القرآن، تح: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه (د،ت،ط):

٤٨. اللباب في علل البناء والإعراب، تح: د. عبد الإله النبهان، ط١، دار الفكر – دمشق، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

٤٩. **العلائي،** صلاح الدين: الفصول المفيدة في الواو المزيدة، تح: حسن موسى الشاعر، ط١، دار البشير – عمان، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٥٠. **عمر، أحمد مختار:** معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

٥١. **الفاسي، أبو العباس أحمد بن محمد:** البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، (د.ط) الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ١٤١٩هـ،

٥٢. **الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد:** معاني القرآن، تح: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط١، الدار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، (د.ت).

٥٣. **الفراهيدي، الخليل بن أحمد:** العين، أبو عبد الرحمن، تح: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (د.ت).

٥٤. **القاسمي، محمد جمال الدين:** محاسن التأويل، تح: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلميه – بيروت، ١٤١٨ هـ.

٥٥. **القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد:** الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

٥٦. **القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر:** الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، دار الجيل – بيروت، (د.ت).

٥٧. **كراع النمل، علي بن الحسن الهنائي:** المنتخب من غريب كلام العرب، تح: د محمد بن أحمد العمري، ط١، الناشر: جامعة أم القرى (معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

٥٨. **الكندي، امْرُؤُ القَيْس بن حجر** : ديوان امْرِئ القَيْس، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، ط٢، دار المعرفة – بيروت، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م.

٥٩. مؤمن، أحمد: اللسانيات النشأة والتطور، دون طبعة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٢م.

٦٠. **المبرد، محمد بن يزيد:** المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب – بيروت، (د.ت).

٦١. **المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم:** الجنى الداني في حروف المعاني، تح: د فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م.

٦٢. **المظهري، محمد ثناء الله:** التفسير المظهري، المظهري، تح: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية – الباكستان، ١٤١٢ هـ.

٦٣. **ناظر الجيش، محمد بن يوسف بن أحمد:** شرح التسهيل المسمى "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد"، دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون، ط١، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – جمهورية مصر العربية، ١٤٢٨ هـ.

٦٤. **النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد:** معاني القرآن، ، تح: محمد علي الصابوني، ط١، الناشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ.

٦٥. **النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود:** تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه، وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه، وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط١ دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

٦٦. **النعماني، سراج الدين:** اللباب في علوم الكتاب، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان،١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.

٦٧. **الهروي، محمد بن علي بن محمد:** إسفار الفصيح، تح: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، ط١، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ.